سلسلة:

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾

الرسالة رقم (١)

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ

صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين



مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، ولا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإنا إليه راجعون، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على خير رُوحٍ وأزكى نفْسٍ، خاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، يكفيه أنه أحب الناس إلى الله، وكفى بها فخراً وعزّاً وشرفاً.

ورضي الله عن أبي الوليد حسان إذ قال:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي   وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ   كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

محمد رسول الله دُرَّةُ التاج الإنساني، وفَصُّ الخاتم البشري، صلى الله وسلم وبارك عليه وجزاه عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

فدىً لك من يقصّر عن مداكا   فلا ملك إذن إلا فداكا
أروح وقد ختمتُ على فؤادي   بحبّك أن يحل به سواكا

وقد حمّلتني شكراً طويلاً ثقيلاً لا أطيق به حراكا
أُحاذر أن يشقَّ على المطايا فلا تمشي بنا إلّا سواكا
فلو أني استطعتُ خفضت طرْفي فلم أبصر به حتى أراكا
أرى أسفي وما سرنا شديداً فكيف إذا غدا السير ابتراكا
إذا التوديع أعرض قال قلبي عليك الصمت لا صاحبتُ فاكا
وفي الأحباب مختص بوجدٍ وآخرُ يدّعي معْهُ اشتراكا
إذا اشتبهت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى
فأما من بكى فيذوب وجداً وينطق بالهوى من قد تباكى
أحبك لا ببعضي بل بكلّي وإن لم يبق حبك بي حراكا

فلا حب بعد الله كحب هذا الإنسان الكامل التام الجميل الجليل صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

والذي نفسي بيده، لو سُطِرت جلود المؤمنين صحائفاً ورقمت بدمائهم تحبيراً؛ ما وفوا معشار ما في قلوبهم من محبته، فقد بعثه الله بالنور الذي ملأ الخافقين ضياءً وسناءً وهدىً ورشاداً، وهو السبب في نجاتهم وفلاحهم وفوزهم، وعتق رقابهم من نار الجبار وغضبه. أما بعد:

فلا يكاد يمرّ عام بدون سخرية أشباه الأنعام ــ بل هم أضلّ ــ واستهزائهم وأذاهم جموع الأمة المسلمة بالقدح في نبيّها العظيم صلوات الله وسلامه عليه، ولم يكُ هذا الأذى صادراً من عامّتهم، بل من خاصتهم وكبرائهم، بل من باباهُم، عامله الله بما يستحق. وكما قيل: العَظَمةُ تصنعُ الأعداء.

مَلَكْنا فكان العدلُ منّا سجيَّةً   فلمّا ملكتُم سَالَ بالدّمِ أبطحُ

نعم، لا تزال أمة الإسلام تُرمَى من أعاديها، ويُسخر من نبيّها وهاديها، من لدن أقوام حَزّتْ لَغَاصِمَ إنصافِها أسْوِدةُ الأحقاد، خاصة أهل الكتاب من أدعياء أتباع المرسلين، الحَقَدةِ على سيّد ولد آدم أجمعين، فأشاعوا في البَرِيّةِ عِلَلَ تمويهٍ يرتجون بها التلبيس على العقلاء، واستمالة الدهماء الى كاذب الأخبار وفاسد الآراء، فيسخرون من الكامل، ويختلقون عليه الخبر، ويقيمون كذبة صلعاء بلقاء، لا تجد ما يستر عُرْيَهَا وعيبها عن ناظر العامّي النَّابِهِ، بلْه الفَحَصَةِ المُدَقِّقِينَ والبَحَثَةِ النَّصحةِ المُغربِلِين.

فتارة يأتون بكذب محال كمن قال: جئتُ بقَرْنَيْ حمار! والحمار لا قُرونَ له، أو أوقدتُ من الشمس غداً، وسأشرب البحر بالأمس! ولا تعجب ففي القوم أَعْجَب!

وتارة يُزَوِّرُون بتحوير الخَبَرِ وقلب وجهه..

فمالــك تقبــل زور الكــلام　وقدر الشهادة قدر الشهود

ثُمَّ يَعدون على الرأي والفكر والمنطق فيسلقونها بتعسّف غليظ وتحكّم بغيض، وبالغثِّ البارد الخليِّ من الأدب والفروسية، فيرمون بذلك الغثاء عقول النبلاء ووجوه العقلاء مع وافر الفَعَلاتِ والبَذَاءِ، فانتهى بهم عند عاقل قومهم الى المذمّةِ والسقوط والرّذل. وأولى لهم أن يرقدوا محتضنين بيض خطاياهم ثم أولى لهم، وللعدل معهم يومٌ ليس كاليوم!

مع ذلك فقد أذهلوا بعض عقلائنا عن منازل الصبر، واستفزّوهم عن مواطن الحلم، ونقول لنبلائنا: لن تراعوا فقد غُودر الأذمُّ مرذولاً، سواء أكان بَابَاهُم أم كاهنهم أم قسيسهم وسياسيّهم وكاتبهم ورسّامهم ومخرجهم، ألم يقل

رب العزة جل جلاله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥] وقال سبحانه وبحمده: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣]؟ ألم يكن السلف يستبشرون بفتح الحصن المنيع إذا نهق الأعداء بسبّه؟!

وهؤلاء الأصاغر ــ وعِزَّةِ ربِّنا ــ حقيقون بأن يكونوا طعام السيوف المسلمة، لولا وَهَنٌ رُمِيَ به جُلُّ ساستِهم وقادتهم وَمُقَدَّميهم، والمشتكى إلى الله.

يرون من الذُّعرِ صوت الرياح صهيل الجياد وخفق البنود

مرّت القرون على حقائق كثير من الأمور عند أولئك القوم فطحنتها طحن الرحى فذرتها في الهواء يباباً، حتى تكلّموا في أمرٍ لم يَجْرُوا في غباره ولم يتعلقوا بأذياله، لسان حالنا: من ذا يعضُّ الكلبَ إن عَضَّا..

وكُنْ كيفَ شئتَ وقُلْ ما تشاء وأرْعِدْ يميناً وأبرِق شمالاً
نَجَا بِكَ عِرْضُكَ مَنْجَى الذُّبابِ حَمَتْهُ مقاذيرُهُ أن يُنالا

وموافقتهم لنا أو مخالفتهم سواء، كما قال أبو الطيّب:

ومن جهلت نفسُهُ قدره   رأى غيرُه منه ما لا يرى

ولن نرمي من هٰهنا مقاتلكم وإن كانت بادية، فقد بهرتْنَا سجايا حبيبنا وبهاء مجده أن يلتفت الخاطر لغير سيرته وجمال سجاياه وعذوبة أخباره وصِدْقِهَا، ﷺ.

وسنرقم شيئاً من ذلك عَلَّ منهم نبلاء نَصَفَة، يقفون عليه مُحكّمينَ العقل والمنطق والبحث العلمي، المتجرد من علائق الهوى ودغائل الحقد.

وسنتكلّم هنا عن شمائل النبي ﷺ الجليلة، وأخلاقه الجميلة، وشخصيته الكاملة خَلْقًا وخُلُقًا، وهو الباب الأول.

ثم نردِفُه بما تيسّر من دلائل نبوّته وبراهين رسالته عليه وعلى آله صلوات ربي وسلاماته وبركاته، في الباب الثاني وهو على ثلاثة فصول:

الأول: تفوّق آياته ودلائل نبوّته على سائر الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم وسلم.

الثاني: اشتمال براهين رسالته على جِنْسَي العلم والقدرة.

الثالـث: أعظـم دلائـل وبـراهين ومعجـزات الرسـل والأنبياء بإطلاق «القرآن العظيم».

سائلاً ربي وإلهي الإعانة والتوفيق والإمداد والقبول، إن ربي قريب مجيب، رحيم ودود.

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

٢٩شوال١٤٣٣

aldumaiji@gmail.com

صفحة بيضاء

الباب الأول

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

يكفي نبيّنا ﷺ مدح الله تعالى له وتزكيته بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]؛ فالأخلاق الجميلة بحذافيرها قد استوعبها وتخلق بها بشكل عفوي وبدون تكلّف(١)، وحيثما تأملت في خُلُقٍ نبيلٍ وجدت لنبينا محمد ﷺ فيه أعلى المنازل، لذلك أوصى الله تعالى عباده بالتأسي به: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وكان كما روي عنه ـ وقد صحّ معناه

---

(١) ولا يعيبه إلا جاهل بحاله أو لخلل في نفسه؛ فالنفوس الزكية تحب الأخلاق السنية وتميل إليها طبعًا، والنفوس تميل لأشباهها طردًا وعكسًا. وقيل لسقراط: إن فلانًا يحبك ـ وكان المحب رديئًا ـ فتألم سقراط وقال: ما أحبني إلا لمشاكلة بيني وبينه.

دون لفظه ـ: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»[١]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٢].

والكمال المحمدي ضربان:

الأول: خاص به ولن يكون لغيره من بعده، كاصطفائه بالنبوة والرسالة وتلقي الوحي الإلهي.

الثاني: أُمِرَ الناسُ بالاقتداء به فيه، لأنه الأنموذج الكامل للاقتداء والتأسي.

وقد كان يحث على حسن الخلق ويعد عليه أعظم الأجور كما في قوله ﷺ: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»[٣]. وسئل عن البرّ

---

(١) أخرجه العسكري في الأمثال ولا يصح، وقال شيخ الإسلام: إن معناه صحيح ولكن لا يعرف له إسناد ثابت. مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٧٥).

(٢) رواه أحمد (٨٧٢٩).

(٣) رواه أحمد والترمذي.

فقال: «**حسن الخلق**»[١]، وقال: «**وخالق الناس بخلق حسن**»[٢] صلى الله عليه وسلم وبارك.

هذا ومن نماذج حسن خلقه وكريم سجاياه وحميد خصاله[٣]:

الكرم، فقد كان فيه مضرب الأمثال فكان لا يرد سائلاً، وقد سأله رجل حلّة كان يلبسها فأعطاه إياها مع حاجته إليها.

وقال عنه جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا، وقد أعطى رجلاً غنمًا بين جبلين، فأتى الرجل قومه وقال: يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة».

وحُملت إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

(٣) ينظر: هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبو بكر جابر الجزائري (٥٢٥-٥٢٨).

فقام فقسمها كلها وما أخذ منها لنفسه شيئًا.

وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله، وأعطى معوذ بن عفراء ملء كفه ذهبًا وحليًّا لما جاءه بهدية من رطب وقثاء، وكان إذا سئل ولم يكن عنده شيء يقول: «**ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه**»(١) أي اشتر ما تحتاجه على حسابي.

أما **الصدق** والأمانة فكانا ملتصقين باسمه وبحاله حتى قبل مبعثه، فقد كان يلقب في مكة قبل أن يوحى إليه بالصادق الأمين.

أما عن **حلمه** فهو السيّد فيه بحق، فإنه لما شجّ المشركون وجنتيه وكسروا رباعيته ودخلت حلقتا المغفر في رأسه يوم أحد قال: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل، وفيه موسى بن علقمة لم يرو عنه غير ابنه هارون.

(٢) متفق عليه، دون قصته، وقد نص أبو حاتم أنه قال هذا الدعاء يوم أحد لما شج وجهه، كما في صحيح ابن حبان (٩٧٣).

ولما جذبه الأعرابي بردائه الخشن جذبة شديدة حتى أثَّرَت على صفحة عنقه الشريف، والأعرابي يقول بصلف: احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك، فحلم عليه السيد الكريم ﷺ ولم يزد على قوله: «**المال مال الله وأنا عبده، ويُقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي**» فقال الأعرابي: لا. فقال ﷺ: «لم؟» فقال: لأنك لا تكافئ السيئة بالسيئة. فضحك ﷺ ثم أمر أن يحمل له على بعير شعيرٍ وعلى آخر تمر[١].

ولم ينتصر لنفسه قط، ولا ضرب خادمًا ولا امرأة ولا طفلاً قط، ولما جاءه زيد بن سعنه ـ أحد أحبار يهود المدينة ـ وجذبه بثوبه وأخذ بمجامع ثيابه، وقال مغلظًا القول له ـ اختبارًا[٢] ـ: إنكم يا بني عبد المطلب مطلٌ، فانتهره عمر وشدّد عليه، ولكن رسول الله ﷺ تبسم وقال: «**أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر، تأمرني بحسن القضاء،**

(١) كنز العمال (٩١٧٠) الشفا (١/ ١٠٨).

(٢) لأنه قد جاء قبل حلول موعد السداد.

وتأمره بحسن التقاضي»، ثم قال: «**لقد بقي من أجله ثلاث**»[(١)] ثم أمر عمر أن يقضيه وأن يزيده عشرين صاعًا لما روّعه، فأسلم الحبر لتحقق النبوءة التي عنده في رسول الله محمد ﷺ أنه يسبق حلمه جهله؟ وأن شدة الجهل عليه لا تزيده إلا حلمًا.

أما **عفوه** فيكفيه أنه لم ينتقم لنفسه قط بل يعفو ويصفح مع كمال قدرته وسلطته، ولما أخذ غورث بن الحارث سيفه وسلّه عليه وقال: من يمنعك مني؟ قال: «**الله**» فسقط السيف من يد غورث وأخذه رسول الله ﷺ وقال: «**من يمنعك؟**» فقال غورث: كن خير آخذ، فتركه وعفا عنه[(٢)].

ولما دخل المسجد الحرام صبيحة الفتح الأعظم وقف على باب الكعبة وتحته رجالات قريش وصناديد المشركين الذين أهانوه وأحزنوه وقتلوا أصحابه وأخرجوه وهمّوا بقتله مرارًا، وهم ينتظرون حكمه النافذ بعد انتصاره عليهم

(١) الحاكم في المستدرك (٢/٣٨) (٢٢٣٧).

(٢) متفق عليه.

واستسلامهم له، وقال لهم: «**يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟**» قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(١).

وحينما سحره لبيد بن الأعصم اليهودي عفا عنه ولم يعاقبه مع قدرته على قتله وصلبه واستحقاقه له.

وحينما تآمر عليه المنافقون في طريق عودته من تبوك إلى المدينة وأرادوا قتله بترديته من شاهق فأنجاه الله منهم عفا عنهم ولم يعاقبهم.

أما عن **شجاعته** فقد كانت في قلبه وصدره ولسانه وجسده، وقد شهد له بالشجاعة مشاهير الشجعان، قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وكان مضرب المثل في الشجاعة ـ: «كنا إذا حمي البأس واحمرّت الحدق نتقي برسول الله ﷺ» أي نتقي الضرب والطعان به عند عظمة كروب الضرب والطعن والجلاد، وحينما انهزم أكثر أصحابه في أُحُدٍ وقف كالجبل

---

(١) البيهقي(٩/١١٨).

الأشم حتى فاءوا إليه ولاذوا به والتفوا حوله، كذلك في حنين حين هرب الأبطال وتراجع البواسل وقف شامخًا مجسدًا كل معاني الجسارة وكمالات الشجاعة وهو يقاتل ويصاول ويقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وما زال في أتون المعركة ينادي أصحابه مثبتًا لهم نافضًا عن قلوبهم دهشة الفزع وكذلك في أحد وهو يقول: «**إلي عباد الله إلي عباد الله**» حتى عاد إليه أصحابه، وعاودوا الكرة على عدوهم حتى هزم الله عدوهم، هذا مع كون أصحابه مضرب المثل بين الأمم بوفائهم له وتضحيتهم بنفوسهم لدينه واسترخاص أرواحهم بين يديه، ولكن اقتضت حكمة الله تعالى أن يظهر الله شجاعة نبيه صلوات الله وسلامه عليه في مواقف ينفرد فيها بالكمال دون غيره، حتى لا يسبقه أحد في الإقدام والاستبسال والشجاعة والجسارة.

المصدرون الدُّهْمَ عن ورد الوغى شقرًا تُجَلَّلُ بالعَجَاجِ الأشهبِ

وحينما جاءه أبي بن خلف راكضًا على فرسه وقد تدرع بدرع على جميع جسده، وهو يصيح: أين محمد لا نجوت إن نجا. فأراد بعض المسلمين أن يعترضه فقال ﷺ: «**خلوا طريقه**» وتناول الحربة وانتفض انتفاضة فتطاير عنه أصحابه تطاير الوبر من ظهر البعير إذا انتفض، واستقبل عدو الله بطعنة نجلاء في عنقه تدأدأ بها عن فرسه مرارًا وهو يصيح قتلني محمد، حتى هلك[١].

وفزع أهل المدينة فانطلق ناس قِبلَ الصوت بعد أن اجتمعوا وتأهبوا فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا وقد سبقهم لوحده إلى الصوت وهو يقول مطمئنًا لهم: «**لن تراعوا**»[٢].

وقال عنه عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب».

وكان ﷺ يقول: «**بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى**

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ (١/١١٧).

(٢) رواه البخاري (٨/١٣) (٦٠٣٣).

يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»[١].

وكان يقول: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**»[٢]، وكان يقول: «**أنا نبي الرحمة، أنا نبي الملحمة**»[٣]، وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا عنه: «اسمه في التوراة أحمد، الضحوك القتال، يركب البعير، ويلبس الشملة، ويجتزئ بالكسرة، سيفه على عاتقه»[٤].

قال ابن القيم: «وأما صفته ﷺ في بعض الكتب المتقدمة بأنه الضحوك القتال، فالمراد منه أنه لا يمنعه ضحكه وحسن خلقه - إذا كان حدًّا لله وحقًّا له - أن يأخذ بذلك، ولا يمنعه

---

(١) رواه أحمد وحسنه ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢٨٢).

(٢) متفق على صحته.

(٣) رواه البخاري في الأوسط (١/ ٨١)، ورواه مسلم بلفظ: «**نبي التوبة ونبي الملحمة**» (٢٣٥٥).

(٤) أسماء رسول الله ﷺ ومعانيها، ابن فارس (ص٣١، ٣٢).

عن ذلك تبسمه في موضعه، فيعطي كل حال ما يليق بتلك الحال»[١].

أما عن **صبره وتجلده** فيكفيه أنه كان لوحده من البشر في كفة وأهل الأرض قاطبة في كفة أخرى لـمّا بعثه الله تعالى فتجلد وصبر وصابر ورابط حتى نصر الله دعوته، وصبر على أذية قريش وهو بلا نصير من البشر في مكة وقد ضربوه وأدموه، ووضعوا الشوك في طريقه، وألقوا الأذى في برمته[٢] وطرحوا السَّلا على ظهره، وشتموه وكادوه، وقتلوا أصحابه، وحاصروه ثلاث سنين مع بني هاشم في شعبهم، وحكموا عليه بالقتل وتمالؤا على ذلك وبعثوا رجالهم لاغتياله، وماتت زوجته وأُنْسُه خديجة، ثم مات العم الحنون المدافع عنه أبو طالب، فلم تفتّ هذه الرزايا في عضده ولم توهن عزيمته ولم تقصر من همته، بل قابل ذلك بصبر لم يعرف له في تاريخ الأبطال نظير أو مثيل، وصبر وصابر ـ بأبي

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم (١/ ٨٧).

(٢) البُرْمَة: القدر الصغير.

هـو وأمـي ونفـسي وولـدي ـ في كافـة غزواتـه في بـدر وأحـد والخندق والفتح وحنين والطائف وتبوك وغيرها، فلم يجبن ولم ينهـزم ولم تـضعف عزيمتـه، ولم يكـل ولم يمـلّ وهـو ينتقـل مـن غـزوة إلى أخـرى طيلـة عـشر سـنوات، وصـبر عـلى تـآمر اليهـود عليـه بالمدينـة وتحـزيبهم الأحـزاب لحربـه ونقـضهم لعهده، وصبر على الجوع الشديد حتى إنه مات ولم يشبع من خبز شعير مرتين في يوم، وكان يربط الحجر والحجرين على بطنه من الجوع بلا شكوى ولا تضجر، بل بصبر وسماحة وسمو.

أما **عدله** فقد شهد له الأعداء والأولياء، ويكفيه قوله لما أمر بقطع يد المخزومية التي سرقت: «**والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها**» وكان تحته تسع نسوة فكان يعدل بينهن ويتحرى العدل التام، وكان لا يأخذ أحدًا بتهمة أحد ولا يصدق أحدًا على أحد حتى يأتي بالبينة، ويكفيه في عدله سمو شريعته واشتمالها على تفاصيل العدل وحذافيره في المعاملات والبيوع والجنايات والعقود وغيرها حتى صارت

مضرب المثل عند من يدرسونها ويطبقونها.

أما عن **زهده** في الدنيا فقد كان أزهد الناس فيها بلا منازع[١]، وقد عرض عليه ربه أن يجعله ملكًا نبيًّا أو عبدًا رسولاً، فاختار العبودية والرسالة، ولو شاء أن يكون أغنى الناس لكان، ويقول: «**لو كان لي مثل أحد ذهبًا لما سرّني أن يبيت عندي ثلاثًا إلا قلت فيه هكذا وهكذا**[٢] **إلا شيئًا أرصده لدين**»[٣].

ولما رآه عمر ينام على فراش من أدم[٤] حشوه ليف، وقد أثر السرير على جنبه من خشونته، فدمعت عيناه وقال: يا رسول الله كسرى وقيصر ينامان على كذا وكذا، وأنت رسول الله تنام على هذا! فقال: «**ما لي وللدنيا يا عمر، وإنما**

(١) والزهد هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، وليس معناه ترك الدنيا المُعِينة على القيام بأمور الآخرة.

(٢) أي يوزعه ويقسمه في الفقراء.

(٣) رواه البخاري.

(٤) أي الجلد.

أنا فيها كراكب استظل بظل شجرة ثم راح وتركها»[١]، هذا وربُّهُ قد عرض عليه أن يحول له الأخشبين[٢] ذهبًا وفضة فاختار الزهد فيهما كما قيل «قليل يكفي خير من كثير يلهي».

وقالت عنه زوجه أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفّ لي» وقد قبض صلوات الله وسلامه عليه ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير لأهله، ولما نزل عليه ضيف لم يجد في بيوت أزواجه إلا الماء.

أما عن **حسن عشرته للناس** صلوات الله وسلامه عليه فقد وصفه علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقوله: «كان رسول الله ﷺ أوسع الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة»، وقال عنه أبو هالة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب ولا فحّاش، ولا غيّاب ولا مدّاح، يتغافل عما لا

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) الأخشبان: جبلا مكة الكبيرين.

يشتهي ولا يؤيس منه، وكان يجيب من دعاه، ويقبل الهدية ممن أهداه ولو كانت كراع شاة، ويكافئ عليها».

وقال عنه أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنوات فما قال لي أفّ قط، وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته».

وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ، وما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال: «**لبيك**»[(١)]، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر، ولم يُر مقدمًا ركبته بين يدي جليس له، وكان يبدأ من لقيه بالسلام والمصافحة، ويؤثر بالوسادة من دخل عليه، ويكنّي أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم، لا يقطع حديث أحد، وكان إذا جلس إليه أحد وهو يصلي خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته»، وحسبنا في بيان أدبه وحسن عشرته قول ربه فيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

---

(١) الطبراني في الكبير.

[القلم: ٤]، وقولـه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أما **حيـاؤه** ﷺ فقد وصفه أصحابه بقولهم: «كان أشد حياء من البكر في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه» وكان إذا بلغه شيء عن أحد لم يسمّه بل يقول: «**ما بال أقوام يصنعون كذا، أو يقولون كذا**»[١] وكان يكنّي مما يضطره الكلام إليه مما يُكره ولا يُصرّح به، وقد ذكر الله تعالى حياءه في محكم التنزيل فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

أما عن **خوفه من ربه تعالى وخشيته وحسن عبادته له**؛ فقد كان أخشى الناس لله وأعلم الناس بما يتقي، وقد كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء من خشية الله وتعظيمه وإجلاله، وكان يستغفر في اليوم أكثر من مئة مرة، ويُعد له في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة، وكان يطيل الصلاة

---

(١) أبو داود بسند رجاله رجال الصحيح.

حتى تورمت قدماه مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولما سئل عن ذلك قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[(١)]، وكان عمله ديمة، وإذا عمل عملاً أثبته، وقد جعلت قرة عينه في الصلاة، وكان يذكر الله على كل أحواله. ولما قرأ ابن مسعود عنده آية سورة النساء: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، قال: «**حسبك**» قال ابن مسعود: فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان[(٢)].

أما عن **تواضعه** فعلى قدر عظمة سيادته وشرفه كانت عظمة تواضعه للخلق، فمع أنه كان سيد الخلق وأشرفهم وأكرمهم على الله بإطلاق؛ إلا أنه كان أشدهم تواضعًا، فقد كان يركب الحمار والبغلة، ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبيد، ويجلس بين أصحابه مختلطًا بهم بلا تمييز له بمجلس أو زي أو هيئة، بل كان يجلس

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

حيث ينتهي به المجلس حتى يحار القادم الغريب أيّهم رسول الله ﷺ؟ وكان يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب، وتأخذ بيده المرأة والعجوز والأمة وتوقفه طويلاً وهو واقف يسمع كلامها ويجيب سؤالها، وكان يقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**»(١).

وفي حجة الوداع أهدى مئة بدنة وهو على بعير فوقه رحل عليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم، فقد كانت الدنيا في يده لا في قلبه بأبي هو وأمي ونفسي وولدي ﷺ، ولما فتح مكة ظافرًا منصورًا راكبًا ناقته في موطن من أعز مواطن الدنيا كان مطأطئ الرأس خاضعًا مستكينًا متواضعًا متطامنًا لعظمة ربه تعالى، حتى إن لحيته لتكاد تمس قائم رحله، وهذا موقف لم ينقل لبشري سواه ــ فيما نعلم ــ. وكان يقول: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام إذ** ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ

(١) متفق عليه.

تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، قال: «**ويرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي**»[(١)]، وكل هذا من تواضعه عليه الصلاة والسلام.

وكان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويقم البيت، ويعقل البعير، ويعلف ناقته، ويأكل مع الخادم، ويعجن معه، ويحمل بضاعته من السوق، ولما دخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة قال له: «**هوّن عليك، فإني لست ملكًا، وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد**»[(٢)]، صلوات ربي وسلامه عليه.

هذا ومن تمام خلقه وعظيم هيبته أنه كان **يمازح أصحابه**

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه ابن ماجه وصححه الألباني. قال السندي: والقديد هو اللحم المُمَلَّح، المجفّف في الشمس.

ويداعبهم ويؤانسهم، ولا يقول إلا حقًا، كما قال لمن طلب منه أن يحمله على بعير: «**إنا حاملوك على ولد الناقة**» فقال الرجل: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟! ظنّ أنه يقصد صغيرها. فقال: «**وهل تلد الإبل إلا النوق**»[(١)].

ويومًا ما رأى أحد أصحابه يبيع متاعًا له في السوق فاحتضنه من خلفه وهو يقول: «**من يشتري هذا العبد؟**» فقال: يا رسول الله، إذن والله تجدني كاسدًا، فقال رسول الله ﷺ: «**لكنك عند الله لست بكاسد**». وكان يقول لهذا الرجل واسمه زاهر: «**إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضره**»[(٢)].

وقال يومًا ما لامرأة طلبت منه أن يدعو الله أن يدخلها الجنة، فقال: «**يا أم فلان! إن الجنة لا يدخلها عجوز**» فولت العجوز تبكي فقال: «**أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز فإن الله تعالى يقول:** ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧][١] أي أن الله يردها شابة في الجنة بإنشائها إنشاءً آخر.

وقال له أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله إنك تداعبنا! قال: «**إني لا أقول إلا حقًا**»[٢]، أي لا يكذب في مزاحه، ولا يؤذي، بل يؤانس ويتبسط ويتألف.

أما **فصاحته** فلم تلد النساء أفتق لغة منه، فقد كان أفصح الناس لسانًا، وأبلغهم قولاً، وأوضحهم بيانًا، قد أوتي جوامع الكلم، وبدائع الحكم، تنفجر ينابيع البلاغة والإيجاز من فيه، يقول الكلمة فتصبح حكمة منقولة، ومن أقواله التي صارت حكمًا يتناقلها الناس: «**الناس معادن**»[٣]، «**المستشار مؤتمن**»[٤]، «**الناس كأسنان المشط**»[٥]، «**المرء مع من أحب،**

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني بشواهده.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه أبو داود والترمذي وحسنه.
(٥) مسند الشهاب القضاعي (١٨٦).

ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له»[١]، **«وإنما لكل امرئ ما نوى»**[٢]، **«رحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم أو سكت فسلم»**[٣]، **«أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين»**[٤]، **«شر الناس ذو الوجهين»**[٥]، **«السعيد من وعظ بغيره»**[٦]، **«لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»**[٧] وغيرها كثير.

أما **رحمته** ﷺ فقد أودعها الله قلبه حتى فاضت على الناس والحيوان، فقد وسعهم قلبه الرحيم، ويكفيه وصف الله تعالى له: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهي رحمة عامة بجميع الخلق، ثم وهبه الله رحمة

---

(١) رواه أحمد بسند حسن.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد بسند حسن.

(٤) رواه البخاري.

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه مسلم.

(٧) رواه البخاري.

أخـرى خاصـة بـالمؤمنين ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨] فمـن ذلـك أن ملـك الجبـال لمـا استأذنه في إطباق جبلي مكـة عـلى أهلهـا الـذين كـذبوه وشـتموه وآذوه؛ فكانـت رحمته بهـم هـي جزاؤه لهـم فقـال للملـك: «**لا، بـل أرجـو أن يخـرج الله مـن أصـلابهم مـن يعبـد الله وحـده ولا يـشرك بـه شيئًا**»[١].

وقـال لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا لمـا أتعبـت جملهـا لتروّضـه: «**يـا عائـشة عليـك بـالرفق**»[٢]. ورقّ قلبه لطـائر الحمّرة[٣] حين جـاءت تـرفّ عـلى رأسـه وعـلى رؤوس أصـحابه فقـال بكـل رحمة: «**أيكـم فجـع هـذه؟**» فقـال رجل من القوم: أنا أخذت بيضها. فقال: «**ردّه رحمة لهـا**»[٤]، وقال للمرأة التي نذرت أن تنحر الناقة التي نجت عليها من أسرها: «**بـئس مـا جزيتيهـا**

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) الحمّرة طائر صغير كالعصفور.

(٤) رواه أبو داود (٥٢٦٨).

بعد أن نجاك الله بها» ونهاها عن نحرها[١].

وقد علمت البهائم واستشعرت رحمته بها[٢]، فشكت إليه شدة أهلها عليها كما في البعير الذي شكى إليه فقال: «**إنه يشتكي إلي كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه**»[٣]، ولما اشتكى له بعير آخر اشتراه وسيّبه في الشجر حتى نبت له سنام، وأوصى بالرفق بالحيوان فقال: «**اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة واتركوها صالحة**»[٤].

ولما هاج جمل لأحد الأنصار ودخل عليه الرسول ﷺ أقبل إليه الجمل وحنّ وذرفت عيناه، فمسح النبي ﷺ رأسه وذفريه[٥] فسكن، ثم نادى صاحب الجمل وقال: «**ألا تتقي**

---

(١) السيرة لابن كثير (٢/ ٢٩٣) وأصله في مسلم.

(٢) فما هو موقف جمعيات الرفق بالحيوان وحماية حقوق الإنسان من هذه الرحمة التي تمشي على الأرض؟ صلوات ربي وسلامه وبركاته عليه.

(٣) مسند أحمد.

(٤) رواه أبو داود وصححه الألباني. والإعجام هو عدم النطق.

(٥) الذفر: هو الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن.

الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنما شكى إلي أنك تجيعه وتدئبه»[١]، ولما تعجب الناس من خضوع البهائم له وشكواها إليه قال: «**إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله، إلا عاصي الجن والإنس**»[٢].

وكان يقول: «**دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت، فلا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض**»[٣]، وقال: «**في كل ذات كبد رطبة أجر**»[٤]، وأخبر أن بغيًّا غفر الله لها بسبب رحمتها بكلب سقته كان يأكل الثرى من العطش[٥]، وحتى في ذبح الحيوان أوصى بالرفق فقال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم**

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ٢٣) (٢٥٤٩).

(٢) مسند أحمد (٣/ ٣١٠).

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

شفرته، وليرح ذبيحته»[١]. وَنَهَرَ الذي يُري الشاة السكين قبل ذبحها وقال: «**أتريد أن تميتها موتات**»[٢]، ونهى أن تذبح البهيمة وأختها تنظر إليها.

وقال له رجل: يا رسول الله، إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها. فقال ﷺ: «**والشاة إن رحمتها رحمك الله**»[٣]. ونهى عن التحريش بين البهائم[٤]، بل حتى النبات كان ينهى عن إفساده وقطعه وتحريقه، ويؤكد على جيوشه بالامتناع عن ذلك.

كلُّ هذا قبل وجود جمعيات الخضر والرفق بالحيوان وحقوق الإنسان والمرأة والطفل واليتيم والأقليات ونحوها، فصلى الله وسلم وبارك على من امتلأ قلبه بالرحمة والرأفة والمحبة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه أحمد. وقال مطرّف: «إن الله ليرحم برحمة العصفور».

(٤) رواه أبو داود والترمذي.

وكـان ينهـى عـن قتـل الـشيوخ وكبـار الـسن والنـساء والأطفال والمنعزلين في الصوامع للعبادة، وإنما يقتل من قاتل أو حال بين دين الله وإبلاغه من خلفه من الناس، ولما رأى امرأة من أعدائه مقتولة بعد إحدى المعارك غضب وأنكر ذلك وقال: «**ألم أنهكـم عـن قتـل النـساء؟!**»[1]، ولما اغتال وحشي بن حرب عمه حمزة بن عبد المطلب وتسبب في التمثيل به وقطع جثته وبتر بعض أعضائه، فما كان منه بعد إسلام وحشي إلا أن اكتفى بقوله: «**ويحك يا وحشي! غيّب عني وجهك، فلا أرينك بعد اليوم**» لقد كانت رحمته متميزة كمًّا وكيفًا، وكان يخشى على الكفار عذاب الله ويرحمهم، لذا كان حريصًا على هدايتهم أقصى طاقته.

وقد أُثرت عنه كثير من الوصايا في الدعوة إلى الله باللين والإحسان والصبر على الأذى في ذلك، وكان يقول: «**والله لئن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**»[2].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

وقد بكى ليلة حتى الصباح وهو يردد قول المسيح بن مريم عليه السلام الذي ذكره الله في القرآن الكريم أنه سيقول يوم القيامة لرب العالمين: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فكان يبكي ويقول: «**اللهم أمتي، اللهم أمتي**»(١).

ولما أعطاه الله تعالى دعوة مستجابة كسائر الأنبياء لم يستعجلها في الدنيا، بل ادخرها ليوم القيامة شفاعة لمن لم يشرك بالله من أمته(٢)، وقد وصفه الله تعالى بأرق وصف وأجمل نعت حين قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨](٣)، وكان عظيم

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) أي يشق عليه ويعز على قلبه أن يرى المشقة عليكم، ومصداق ذلك قوله ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**» =

الرحمة والرأفة بالأطفال، ولما مات ابنه الصغير إبراهيم حمله وعيناه تدمعان وهو يقول: «**إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[١]، ولما احتضر ابن إحدى بناته حمله في حجره ونفسه تقعقع وتتحشرج، فدمعت عينا نبي الله ﷺ رحمة بالصغير من سكرات الموت[٢]، ولما قعد على شفير قبر إحدى بناته وهي تُدفن كانت عيناه تدمعان[٣].

ولما ماتت ابنته زينب، وكان لها بنت صغيرة ـ اسمها أُمامة ـ رقّ لها جدًّا، وكان يحملها على عاتقه ويلاطفها، بل كان يصلي بالناس في المسجد وهو يحملها، فإذا سجد وضعها

= متفق عليه. وقد ورد عنه كثير من إرادة نفي المشقة عن أمته، وكان يقول: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**» متفق عليه. ويقول: «**أحب الدين إلى الله الحينفية السمحة**» رواه أحمد.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

وإذا قام حملها على عاتقه[١]، وكان يخفف الصلاة إذا سمع بكاء الصبي رحمة به وبأمه[٢]، وكان يقول: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[٣]، «**من لا يرحم لا يُرحم**»[٤]، «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»[٥]، «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»[٦]، وكان رحيمًا بالبشرية كلها، خائفًا عليها عذاب الله في الدنيا وعذابه يوم القيامة، فلم يترك وسيلة إلا طرقها لهدايتهم وإنقاذهم من الهلكات، حتى شبه نفسه معهم بمن يحجز الفَرَاشَ عن النار وهي تقتحم فيها وتعجزه[٧].

أما **وفاؤه** فله المنتهى فهو بحق سيد الأوفياء، فكان يفي بالوعد، ولا ينسى حسن العهد، وقد وعد رجلاً في مكان قبل

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه أبو داود والترمذي.

(٦) رواه الترمذي وحسنه.

(٧) متفق عليه.

أن يُبعث، فوقف ينتظره ثلاثة أيام، فلما حضر لم يعنفه إنما اكتفى بقوله: «**يا فتى لقد شققت علي، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك**»[١].

وكان يلقب بالصادق الأمين قبل البعثة، وكان الناس يودعون عنده نفائس أموالهم وودائعهم ليقينهم بوفائه وأمانته، ولما ماتت زوجه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان يتعاهد صديقاتها بالهدايا وفاءً لحسن عهدها وطيب ذكراها، فكان إذا أُتي بهدية قال: «**اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة**»[٢]، وهذا مثال معدوم تقريبًا في واقع الناس، لكنه الوفاء العميق النبيل.

وكانت عائشة تقول: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت أسمعه يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها[٣]، واستأذنت عليه أختها هالة فارتاح

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) مستدرك الحاكم.

(٣) أي صديقاتها المقربات.

إليها وسألها عن حالها وحال أهلها، ويقول: «**كيف أنتم بعدنا؟**»[١] ـ وكان صوتها يشبه صوت أختها الراحلة ـ ودخلت عليه امرأة فهشّ لها وبشّ وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: «**إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان**»[٢]، وهذه رسالة عمليّة منه إلى كل امرأة ظنت أن الإسلام يحتقر المرأة أو يهضم حقها، فهذا نبي الأمة بقوله وبفعله يكرمها ويرفع قدرها ﷺ.

ولم ينس هذا النبي الوفي قدماء أصحابه، فحينما أغضب الناس أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زجرهم بقوله: «**هل أنتم تاركون لي صاحبي**»[٣]، ولما سبّ بعضهم صاحبه عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**لا تسبوا أصحابي**»[٤]، فصلى الله وسلم وبارك على صاحب هذا القلب الكبير والروح النبيلة

---

(١) المستدرك.

(٢) المستدرك.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

والوفاء العزيز.

أما **صلته رحمه وقرابته**؛ فكان واصلاً لهم تمام الصلة حتى وإن قابلوا ذلك بالقطيعة والعداوة، ولا يمنع من ذلك كون قرابتهم بعيدة، كما قال في بعض أرحامه حال شركهم وعداوتهم وحربهم له: «**إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي غير أن لهم رحمًا سأبلها ببلالها**»[1]، أي سأصلها. ولما قدمت عليه أمه من الرضاعة هشّ لها وأحسن استقبالها وبسط رداءه في الأرض لها، وكان يبعث إلى ثويبة مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل: «**من بقي من قرابتها؟**» حتى يصلهم بعدها، فقيل له: لا أحد[2]. بل لم ينس أهل مصر حين أوصى المسلمين بهم خيرًا إذا فتحوها لأن لهم رحمًا[3]، وهي هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام حتى قال أهل مصر: والله ما وصل هذه الرحم البعيدة إلا نبي صلوات الله وسلامه عليه.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الشفا (١/١٢٩).

(٣) مسلم (٤/١٩٧٠).

أما **كمال خَلْقِه** وجمال صورته وتناسق خلقته؛ فقد صوّره الله تعالى في صورة الجمال والبهاء والجلال، قال البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خَلْقًا، ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير»(١)، وقال: «كان بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة(٢) إلى شحمة أذنيه، عليه حلّة حمراء، ما رأيت شيئًا قط أحسن منه»(٣)، ولما سئل: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: «لا، بل مثل القمر»(٤)، وقال كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه فلقة قمر»(٥)، وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس والقدمين، لم أر مثله ولا بعده مثله،

---

(١) متفق عليه.

(٢) أي نزل شعره الكثيف إلى قرب منكبيه.

(٣) متفق عليه.

(٤) البخاري (٦/ ٥٦٥).

(٥) متفق عليه.

وكـان بَـسِطَ الكفـين، ضـخم اليـدين»[١]، ومعنـى بَـسِطَ الكفـين: ليّـنهما. وقـال جـابر بـن سـمرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كـان رسـول الله ﷺ ضـليع الفـم[٢]، أشـكل العينـين، منهـوس العقبـين»[٣] أي واسـع الفـم، طويـل شـق العـين، قليـل لحـم العقب.

وقـال أنـس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كـان رسـول الله ﷺ لـيس بالطويـل البـائن ولا بالقـصير، ولـيس بـالأبيض الأمهـق ولا بـالآدم، ولا بالجعـد القطِـط ولا بالـسَّبط»[٤] أي لـيس لـون جلـده شـديد البيـاض الـذي لا تـخالطه حمـرة ولا بالأسـمر، وليس شعره شديد الجعودة ولا شديد الانبساط، وقال أنس كذلك: «كان رسول الله ﷺ أزهر اللون (أي أبيض مستنير، وهو أحسن الألوان)، كأن عرقه اللؤلؤ (أي من الصفاء) إذا

---

(١) متفق عليه.

(٢) وهذا أدعى للفصاحة وحسن البلاغ وسلامة المنطق.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

مشى تكفّأ (أي يتمايل قليلاً إلى الأمام، وليس في مشيته تبختر كمشية المتكبرين، ولا بارتخاء وتمطي كمشية الكسالى) وما مسست ديباجة ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شَممت مسكًا ولا عنبرًا أطيب من رائحة رسول الله ﷺ»(١).

وقد وصفته أم معبد الخزاعية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصفًا مفصلاً كما قيل: أحسن من يصف الرجل هن النساء، فقالت: «إنه رجل ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه (أي أبيض واضح ما بين الحاجبين كأنه يضيء من صفائه)، حسن الخِلقة، لم تُزْرِ به صِعلة (أي لم يعيبه صغر في رأس، ولا نحول في بدن)، ولم تعبه ثجلة (والثجلة هي ضخامة البطن)، وسيمًا قسيمًا (أي واضح الملامح غير متداخل الأعضاء، ظاهر الجمال)، في عينيه دَعَج (أي شديد سواد العين وشديد بياضها)، وفي أشفاره عطف (أي طويل أهداب العينين)، وفي عنقه سَطَع

---

(١) متفق عليه.

(أي طويل العنق)، وفي صوته صَحَل (أي بحَّة خفيفة، وهي من جمال الصوت)، وفي لحيته كثافة، أحور (أي واسع العينين)، أزجّ (أي متقوس الحواجب مع طول وامتداد)، أقرن (أي متصل الحواجب)، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلّم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأجملهم من قريب، حلو المنطق، فصل لا نَزَرَ ولا هَذَرَ (أي تام البلاغة بلا إيجاز مخل ولا إطناب ممل) وكأن منطقه خرزات نظم تنحدر، رَبْعةٌ لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه العين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنظر الثلاثة منظرًا...»[1].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته، وأمته من آياته، وعلم أمته ودينهم من آياته، وكرامات صالح أمته من آياته، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أن بعث، ومن حين بعث إلى أن مات، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله.

(١) رواه الطبراني (٩٩١٠).

فإنـه كـان أشرف أهـل الأرض نـسبًا، مـن صـميم سـلالة إبراهيم، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، فلم يأت نبي بعـد إبـراهيم إلا مـن ذريتـه، وجعـل لـه ابنيـه إسـماعيل وإسحاق، وذكرهما في التوراة، وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل، ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهر فيما بشرت بـه النبـوات غـيره، ودعـا إبـراهيم لذريـة إسـماعيل بـأن يبعـث فيهم رسولاً منهم، ثم من قريش صفوة بني إسماعيل، ثم من بني هاشـم صفوة قـريش، ومـن مكـة أم القـرى، وبلـد البيت الذي بناه إبراهيم، ودعا الناس لحجه، ولم يزل محجوجًا من عهد إبراهيم، مذكورًا في كتب الأنبياء بأحسن وصف.

وكان محمد ﷺ أكمل الناس تربية ونشأة، لم يزل معروفًا بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق، وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم، شهودًا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة، وممن آمن به وممن كفر به بعد النبوة، لا يُعـرف لـه شيء يُعـاب بـه، لا في أقوالـه ولا في أفعالـه ولا في أخلاقه، ولا جُرّب عليه كذب قط، ولا ظلم ولا فاحشة.

وكان خَلْقُه وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله، وكان أمِّيًّا من قوم أميين، لا يعرف لا هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب: التوراة والإنجيل، ولم يقرأ شيئًا من علوم الناس، ولا جالس أهلها، ولم يدّع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة، فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره، وأخبرنا بأمر لم يكن في بلده وقومه من يعرف مثله.

ثم اتّبعه أتباع الأنبياء، وهم ضعفاء الناس، وكذّبه أهل الرياسة وعادوه، وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم، والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة في الدنيا ولا لرهبة، فإن لم يكن عنده مال يعطيهم، ولا جهات يوليهم إياها، ولا كان له سيف، بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه، وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون، لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة.

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم، فتجتمع في الموسم قبائل العرب، فيخرج إليهم فيبلغهم الرسالة، ويدعوهم إلى الله صابرًا على ما يلقاه من تكذيب المكذب، وجفاء الجافي، وإعراض المعرض، إلى أن اجتمع بأهل يثرب، وكانوا جيران اليهود، وقد سمعوا أخباره منهم، وعرفوه، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي تخبرهم به اليهود، وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته، فإن أمره قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة، فآمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم، وعلى الجهاد معه، فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة، وبها المهاجرون والأنصار، ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة، إلا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر ثم حسن إسلام بعضهم.

ثم أُذن له في الجهاد، ثم أُمر به، ولم يزل قائمًا بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها من الصدق والعدل والوفاء، لا يحفظ له كذبة واحدة، ولا ظلم لأحد، ولا غدر بأحد، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد، مع اختلاف

الأحوال عليه من حرب وسلم، وأمن وخوف، وغنى وفقر، وقلة وكثرة، وظهور على العدو تارة، وظهور العدو عليه تارة، وهو على ذلك لازم لأكمل الطرق وأتمها، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة بعبادة الأوثان، ومن أخبار الكهان، ومن طاعة المخلوق في الكفر بالخالق، وسفك الدماء المحرمة، وقطيعة الأرحام، لا يعرفون آخرة ولا معادًا، فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم، حتى إن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا: ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء. وهذه آثار علمهم وعملهم في الأرض وآثار غيرهم، يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين.

وهو ﷺ مع ظهوره وطاعة الخلق له وتقديمهم له على الأنفس والأموال، مات صلوات الله وسلامه عليه ولم يخلّف درهمًا ولا دينارًا، ولا شاة ولا بعيرًا له، إلا بغلته وسلاحه، ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شعير ابتاعها لأهله، وكان بيده عقار ينفق منه على أهله

والباقي يصرفه في مصالح المسلمين، فحكمَ بأنه لا يورث ولا يأخذ ورثته شيئًا من ذلك»[١].

وفي ختام هذه الكلمات نُجمل الطرق الست الكبرى للقطع بنبوته ﷺ[٢]:

١ـ التواتر العام.

٢ـ التواتر الخاص بين أهل العلم.

٣ـ التواتر المعنوي بين الناس بأحواله.

٤ـ حضور الخلق الكثير للآية وتصديقهم وإيمانهم بها.

٥ـ تواتر أنواع من آيات النبوة عند كل صنف من العلماء.

٦ـ تصنيف العلماء في آيات النبوة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأي شيء عرفه من لم يعرف الله ورسله؟!

---

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية (٥/ ٤٣٧- ٤٤٠)، وتأمل صدق العاطفة، وطلاوة البيان، وقوة البرهان، وغزارة العلم في هذه القطعة التيمية اليتيمة، فرحمة الله عليه.

(٢) انظرها مفصلة في: الجواب الصحيح (٦/ ٣٢٤ـ٣٧٩).

وأي حقيقة أدرك من فاتته تلك الحقيقة؟!

وأي علم أو عمل لمن فاته العلم بالله، والعمل بمرضاته، ومعرفة الطريق الموصلة إليه، ومآله بعد الوصول إليه؟!

فأهل الأرض كلهم في ظلمات الجهل والغيّ إلا من أشرق عليه نور النبوة، كما قال ﷺ: «**إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه أُضِلّ، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله**»(١).

لذلك بعث الله الرسل ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، فمن أجابهم: خرج إلى الفضاء والنور والضياء، ومن لم يجبهم: بقي في الظلمة التي خلق فيها، وهي ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة الهوى، وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به في معاشها ومعادها»(٢).

---

(١) أحمد (٢/ ١٧٦)، والترمذي وحسنه (٧/ ٤٠١)، والحاكم (١/ ٣٠، ٣١) ووافقه الذهبي.

(٢) هداية الحيارى (٤٤٨، ٤٤٩).

صفحة بيضاء

الباب الثاني

دلائلُ نبوّةِ خاتمِ المرسلين عليه الصلوات والبركات والتسليم

أيا صاحبي! اصقل شهادتك لنبيك باصطباح هذه الكلمات، وامذق واغتبق، وانهل وتعلّل، واخلع نعليك فإنك بوادي الأنبياء وروضات المرسلين، وليس لمحبك فيها قليل ولا كثير، إنما هو بعد الله عالةٌ على الكواكب النيرة، والفحول الشآبيب الفطاحل، من سالف من مضى من علماء الأمة، الذين نفاخر بهم شتى أمم المعمورة، ونغلبها في كرة تلو أختها، لصفاء المعدن الذي منه ينهلون، وجلاء الضياء الذي عليه يبصرون، فالحمد لله الذي حفظ لنا ديننا بعد ما ارتضاه لنا، وأسأله التوفيق لحسن المعتقد والعمل والخُلُق، والتثبيت حتى الموافاة، إنه سميع قريب مجيب.

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً   بوادٍ وحولي إذخر وجليلُ
وهل أرِدَن يوماً مياه مجنّةٍ   وهل يبدون لي شامةٌ وطفيلُ

سبيل دلائل النبوة لمحمد ﷺ رائق رنق شيق، وعبق شذي عاطر، يملأ القلب يقيناً، ويكسو النفس سكينة، ويسكب في الصدر انشراحاً، ويشحذ كلالة الهمة، وبعد هذا يرفع الهامة بالإسلام فخراً، ويملأ الرأس شمماً، صلِّ اللّٰهم وسلم وبارك عليه.

لها أحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الشراب وتلهيها عن الزادِ
لها بوجهك نور تستضيء به ... ومن حديثك في أعقابها حادي
إذا شكت من كلال السير أوعدها ... رَوْحُ اللقاء فتحيا عند ميعادِ

هذا ودلائل النبوة كثيرة وعظيمة كمّاً وكيفاً، وهي ما يسميها بعض أهل العلم بالمعجزات، وقد أولاها العلماء عناية تليق بصاحبها صلوات الله عليه وسلامه وبركاته.

وهي كثيرة جدًّا ولا تكاد تحصر، وتفوق كمًّا وكيفًا معجزات سائر النبيين، فما من نبي أعطي معجزة إلا ولرسول الله ﷺ من جنسها أعظم منها، وليس لمنازع في هذا مقالاً، وليس فيه حط من مقام الرسل فلا كان ولا يكون كَهُم، لكنه بيان مقام سيدهم وسيدنا ﷺ، وإلى شيء من

براهين ذلك:

وُلِدَ الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسمٌ وثناءُ
الروح والملأُ الملائكُ حوله للدين والدنيا به بُشَرَاءُ
وبدا مُحيَّاك الذي قسماته حقٌّ وغرّتُهُ هدىً وحياءُ
وعليه من نور النبوّة رونقٌ ومن الخليل وهديِهِ سيماءُ
زانتْكَ في الخُلُقِ العظيمِ شمائلٌ يُغرى بهنَّ ويُولعُ الكُرماءُ
فإذا عفوتَ فقادِراً ومُقَدَّراً لا يستهينُ بعفوكَ الجُهَلاءُ
وإذا غضبتَ فإنّما هي غضبةٌ في الحقِّ لا ضغنٌ ولا بغضاءُ
وإذا رضيتَ فذاك في مرضاته ورضى الكثير تحلّم ورياءُ
وإذا خطبتَ فللمنابرِ هزّةٌ تعرو النديّ وللقلوب بكاءُ
وإذا صحبت رُئِيَ الوفاءُ مجسّماً في بردك الأصحاب والخلطاءُ
وإذا أخذت العهد أو أعطيته فجميع عهدك ذمة ووفاءُ
وتمدّ حلمك للسفيه مدارياً حتى يضيق بعرضك السفهاءُ
الذكر آية ربك الكبرى التي فيها لباغي المعجزات غناءُ
صدرُ البيان له إذا التقت اللغى وتقدّم الفصحاء والبلغاءُ
نسخت به التوراة وهي وضيئةٌ وتخلّف الإنجيلُ وهو ذكاءُ

صفحة بيضاء

الفَصْلُ الأَوَّلُ

تفوّق دلائل نبوة محمّد ﷺ على الرسل كمّاً وكيفاً

فمعجزة نوح عليه السلام في استجابة الله دعوته، وإنجائه ومن معه من المؤمنين، وإغراق الأرض قاطبة بكفارها.

فنقول: إن الله تعالى قد أرسل ملك الجبال لرسول الله ﷺ أثناء عودته من الطائف حزينًا، حين كذبه قومه، وتبعهم أهل الطائف وأغروا به سفهاءهم، وقال له الملك: «**يا محمد إن شئتَ أطبقت عليهم الأخشبين**» فقال: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا**»[(١)]، فاستجاب الله دعوته فلم يمت حتى فتح الله له مكة والطائف وكافة جزيرة العرب وأسلم أهلها.

أما نجاة نوح عليه السلام في السفينة مع المؤمنين فقد حصل لصحابة محمد ﷺ أعظم من ذلك؛ فقد مشوا على الماء

---

(١) متفق عليه.

بخيولهم كما حصل في العراق وفي البحرين، ومعجزات أمته معجزات له؛ لأنها لم تتحقق وتحصل إلا ببركة اتباعهم له وتصديقهم به.

أما إنهار الماء وإغراق الأرض؛ فأعجب منه نبع الماء من بين أصابعه ﷺ في أكثر من حادثة، فأحيانًا من بين أصابعه، وأحيانًا من كنانته، وأحيانًا من السماء، فكان ينزل الغيث قبل أن يتم دعاءه صلوات الله وسلامه عليه.

ومعجزة إبراهيم الخليل عليه السلام في عدم إيذاء النار لـمَّا ألقي فيها؛ فقد خمدت نيران مجوس فارس لمولده، وبينه وبينها مسيرة أشهر، كما لم تؤذ النار أبا مسلم الخولاني لما ألقي فيها ببركة اتباعه محمدًا ﷺ.

ومن معجزات إبراهيم عليه السلام إحياء الطيور الميتة المقطعة، فأعجب من ذلك كلام ذراع الشاة المصلية لمحمد ﷺ، كذلك كلام الطيور له والبهائم، بل والشجر والحجر.

وأما معجزة موسى الكليم عليه السلام فكانت انقلاب العصا حيّة تسعى، فأعظم منها شهادة الشجر لمحمد ﷺ

بالرسالة[١]، وتسليم الشجر والحجر عليه[٢]، وتسبيح الحصا بين يديه، وتسبيح الطعام بين يديه ويدي أصحابه[٣]، وحنين الجذع شوقًا إليه[٤].

وكان موسى عليه السلام يضرب الحجر فتنفجر منه اثنتا عشر عينًا، أما رسول الله ﷺ فكان الماء يتفجر من بين أصابعه الشريفة، وقد شرب منه الألوف وحملوا واغتسلوا، قال جابر: «ولو كنا مئة ألف لكفانا...فلقد رأيت الماء يثور من بين أصابعه كأمثال العيون» وفي روايات: «يفور»، «ينبع»، «ينفجر»، «يخرج»[٥].

ومن معجزات موسى عليه السلام أنه إذا أدخل يده في جيب درعه أخرجها وهي بيضاء كأنها تضيء من صفائها، فأعظم

---

(١) ابن حبان (٥١٩).

(٢) الدارمي (٢١).

(٣) البخاري (٣٣٨٦).

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

من ذلك انشقاق القمر لمحمد ﷺ حين طلب ذلك من ربه فأجابه بأن فلق له القمر فلقتين، واحدة على يمين جبل أبي قبيس والأخرى عن يساره، وقال: «**اللهم اشهد**»[١]، وقد شهدت بذلك القبائل والأحياء التي كانت خارج مكة لما قالت قريش: لقد سحرنا محمد. كذلك فقد استجاب الله دعوته لما أسلم الطفيل وأرسله إلى قومه بآية وهي نورٌ في وجهه ثم في طرف سوطه، فجعلوا ينظرون إليه كالمصباح[٢]، كذلك حصل لأسيد بن حضير وعباد بن بشر[٣]، وحمزة الأسلمي[٤]، وعبد الحميد الأنصاري[٥]، وقتادة بن النعمان[٦].

ومن معجزات موسى عليه السلام أن أتى قوم فرعون

---

(١) مسند أحمد (٤٢٦٨) وأصله في الصحيحين.

(٢) أبو نعيم، وابن سعد (٥١٥).

(٣) البخاري، وأحمد (٦٩٨).

(٤) البيهقي في الدلائل (٦/ ٧٩).

(٥) الحاكم (٣/ ٣٩٤).

(٦) أحمد (٣/٦٥).

بالعذاب كالجراد والقمّل والضفادع والدم. وقد استجاب الله لرسوله محمد ﷺ حين دعا على قريش وسأل ربه أن يعينه عليهم بسنيّ كسبع يوسف؛ فأخذتهم سنة حصّت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة، وينظر أحدهم للسماء فلا يرى إلا الدخان من الجوع والعطش، ثم توسلوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام بقرابتهم ورحمهم، فدعا ربه لهم فأغاثهم بعدما أشرفوا على الهلكة[1].

وقد فلق الله تعالى لموسى عليه السلام البحر اثني عشر فرقًا، وأعظم من ذلك فلق القمر بكامله فلقتين[2].

ولنا استطراد يسير في شأن هذه الآية الجليلة ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر:١] قال ابن كثير: «شوهد انشقاق القمر في كثير من بقاع الأرض، ويقال: إنه أُرِّخَ ذلك في بعض بلاد الهند»[3].

---

(١) البخاري (٤٦٩٣).

(٢) متفق على صحته.

(٣) البداية والنهاية (٣/ ١٢٠).

وقال الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق): «وفي تاريخ فرشته أن أهل أن أهل مليبار من إقليم الهند رأوا انشقاق القمر، وأسلم والي تلك الديار التي كانت من مجوس الهند بعدما تحقق له هذا الأمر، وقد نقل الحافظ المزي عن ابن تيمية أن بعض المسافرين ذكروا أنه وجد في بلاد الهند بناءً قديمًا مكتوبًا عليه: بُني ليلة انشق القمر»(١)

قلت: وهناك مخطوطات وسجلات ولوحات وثقت ذلك في كل من فارس والصين؛ فهناك لوحة فارسية قديمة تظهر قمرًا مشطورًا في السماء بينما الناس يشيرون إليه متعجبين وذُكِرَ في الصين معبد مكتوب على بابه عبارةٌ كتلك التي في الهند.

وعلى كل حال فلا غرابة في ذلك فالله على كل شيء قدير، وهو الذي يؤتي أنبياءه ورسله ما شاء من الآيات الدالة على صدقهم، فإن قيل لم لم ينتشر هذا النبأ في الأرض كلها؟

---

(١) انظر: تحرير العلامة العثيمين لذلك في: شرح العقيدة السفارينية (ص٥٥٩-٥٦١).

فالجواب: إن عدم العلم ليس نقلاً للعدم، فقد يكون ذلك، ولكن بسبب انقطاع الأخبار لبعد المسافات ضاع مثل ذلك، وإذا نظرنا لتوقيت ذلك فهو بعد الغروب بساعة أو ساعتين تقريبًا بتوقيت مكة المكرمة، إذ القوم ليسوا بأهل سهر وسمر ـ أي في عمومهم ـ وفي مثل هذا الوقت يكون نصف الأرض نهارًا فلا يرونه، والبقية نحو المشرق قد انتصف عليهم الليل وتأخرت ساعاته كلما سرنا شرقًا، أما الغرب، مصر فما بعدها فلا زالوا في آخر النهار أو أوائل شروق القمر، أما الشام والعراق ونحوها فقد يكون في السماء غيم أو نحو ذلك، كما أن الانشقاق ربما لم يطل به بل بقي لحظات قليلة حتى إذا تبينوا الآية السماوية الحسية الهائلة عادت كما كانت، كذلك فقد يكون من رآه أنكر ما يراه ولم يحدّث به خجلاً أو خوفًا من أن يرمى بجنون، خاصة إن كان لوحده أو نحو ذلك، وقد يكون قوم قد رأوه وتحققوا ولم يوثقوه أو وثقوه فباد معهم.

وعلى كلٍّ فهذه الحادثة ثابتة عند المسلمين بنص الوحي

المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢]، كذلك فهو ثابت بالوحي القاطع الثاني وهي السنة النبوية الصحيحة حيث اتفق الشيخان البخاري ومسلم على رواية حديث انشقاق القمر، فلا مجال لرد ذلك، ولن نتمحّل التأويلات ونتمحّك المعاذير خوفًا من كلام الماديين، فنحن أشد يقينًا بذلك من رؤيتنا للشمس في رائعة النهار، فلئن أخطأت أعيننا فلن يخطئ وحي ربنا(١).

ولما أعطى الله موسى عليه السلام انفلاق البحر أعطى الله أمة محمد ﷺ نظير ذلك، بل أعظم منه إذ لم يحوجهم إلى فلقه لهم بل عبروا البحر بدوابهم، كما عبر ابن الحضرمي وأصحابه البحر ومشوا على الماء في البحرين(٢)، وكذلك

(١) انظر كلام شيخ الإسلام في: الجواب الصحيح (٦/ ١٥٩ وما بعدها)، مما لا مزيد عليه وسيأتي لاحقاً إن شاء الله.
(٢) البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٢).

فعل أبو عبيدة الثقفي وأصحابه حينما اقتحموا نهر دجلة وهو يقذف الخشب من شدة جريانه وفيضانه[١]، وكذلك حصل لأبي مسلم الخولاني وجيشه[٢].

وإن كان قد ظُلّل موسى عليه السلام وبنو إسرائيل بالغمام في التيه؛ فكذلك ظلل رسول الله ﷺ فيما يُذكر من قصة بحيرا الراهب[٣]، وقد كان عمره قرابة اثني عشر ربيعًا، بل لما سبقه كبار قومه إلى ظل الشجرة وجلس هو في الشمس مال فيء الشجرة عليه، وفي هذا من التخصيص وشدة العناية ما ليس لغيره، ولما احتاج الناس إلى الشمس بعد كثرة المطر دعا ربه واستصحى فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت السحابة[٤].

ونبي الله داود عليه السلام سخر الله له الجبال والطير يسبحن

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٢٦٠-٢٧٩).

(٢) البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٤).

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٢٧٩)، وقد جوّد ابن حجر سند رجال الخبر كما في الإصابة (١/ ١٧٦).

(٤) متفق عليه.

معه، وألان له الحديد، وأعظم من ذلك تسبيح الطعام وهو يؤكل بين يدي رسول الله ﷺ وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد كنا نأكل الطعام مع النبي ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام»[١]، كذلك سبح الحصى في كف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وسمع تسبيحه من حضر[٢]، وكانت الأشجار والأحجار تسلم عليه، وكلمه ذراع الشاة المسموم، وقد سُخرت له الطير فلما لبس إحدى خفيه جاء غراب فطار بالأخرى ورمى بها فخرجت منها حية[٣]، وسخر له البعير الشارد الهائج حتى أتاه وسجد له وشكى له مالكه الذي كان يجيعه ويدئبه[٤]، وتكلّم له الذئب وشهد له بالرسالة[٥]، وشكت له الحُمَّرَة آخذ بيضها فنصرها، وسخّر

(١) البخاري (٣٣٨٦).
(٢) الطبراني في الأوسط (٣٥٢٠، ٣٥٢١) بسند صحيح.
(٣) الدارمي (١٧).
(٤) الحاكم (٤/ ٤٦٧) ووافقه الذهبي.
(٥) أحمد (٣٨٣٥) بسند صحيح.

له الأسد فأكل من سبّه حين دعا عليه بأن يسلط الله عليه كلبًا من كلابه[١]، (والساب المأكول هو عتيبة بن أبي لهب) وسخر له تيس الجبل فنطح من شجَّهُ في وجهه ولم يزل ينطحه حتى قطّعه قطعة قطعة[٢] (والشاج القتيل هو ابن قمئة) ودلّ الأسد مولاه وصاحبه سفينة لما أضاع طريقه بعد أن قال له: إني مولى رسول الله ﷺ[٣].

أما إلانة الحديد لداود عليه السلام فقد ألان الله لمحمد ﷺ الصخر الجلاميد والصم الصلاب كما في غزوة الخندق حينما عرضت لهم كدية عظيمة لم تطقها المعاول، فنزل لها رسول الله ﷺ إليها فضربها ضربة واحدة فانهالت كأنها كثيب رمل[٤]، كما ألان الله له الجبال وسكّنها بأمره لما صعد أُحُدًا

(١) الحاكم (٢/ ٥٨٨) ووافقه الذهبي.

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٢٩٠).

(٣) الحاكم (٣/ ٧٠٢) ووافقه الذهبي.

(٤) البخاري (٥٢٤).

ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال مخاطبًا الجبل: «**اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»[١]. ولما تحركت بهم صخرة حراء بمكة قال: «**اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»[٢]، بل قد سوّى الله له طريقه الذي كان صعبًا[٣]، واستجابت له الأشجار والأحجار فانقلعت من أصولها وخطّت الأرض بأمره حتى التأمت عليه حتى قضى حاجته ثم عادت والناس ينظرون[٤]، واستجاب لأمره عذق النخلة فنزل ينقز من النخلة فشهد له بالرسالة ثم عاد لمكانه[٥]، كذلك الضب قد شهد له على طلب الأعرابي[٦]، كذلك تحوّل الخشب إلى سيف صليت في يده لما هزّه ثم ناوله

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٢٨٧).

(٢) البخاري (٣٤٧٢).

(٣) معجم الطبراني الكبير (٢/ ١٧٩).

(٤) مسلم (٤/ ٢٣٠٦)، وانظر: المطالب العالية للحافظ (٤/ ٨) رقم (٣٨٣).

(٥) الترمذي (٣٦٢٨) وصححه.

(٦) رواه البيهقي، وانظر: سيرة النبي المختار(١/ ١٥١).

أبا محجن في بدر[١]، كذلك انقلب عسيب النخل إلى سيف فناوله عبد الله بن جحش في أحد[٢].

أما معجزات نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام فمنها: تسخير الريح له، وقد سُخرت لمحمد ﷺ كما أرسلها الله على المشركين في الأحزاب، وكان يقول: «**نصرت بالصَّبَا**»[٣]، أي الريح المشرقية، وتسمى صبا نجد، وقال: «**نُصرت بالرعب مسيرة شهر**»[٤]، وسخر الله له الريح التي تسوق السحاب لما دعا ربه في مواطن كثيرة في حضره وسفره ﷺ، وإن كانت الريح تحمل سليمان عليه السلام[٥] فتقطع به مسافة الشهر في غدوة أو روحة ـ أي نصف نهار بمقدار

(١) البيهقي في الدلائل (٢/ ٩٩).

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٢٧٩) رقم (٢٠٥٣٩).

(٣) مسلم (٩٨٨).

(٤) متفق عليه.

(٥) على فرض صحة حمله عليها، فالتسخير ثابت بنص القرآن، أما الحمل ففيه نظر.

ست ساعات تقريبًا ـ فرسول الله ﷺ قد سار به البُراق إلى بيت المقدس فصلى بالأنبياء فيه ثم عُرِجَ به إلى السماوات سماءً سماءً، وسلّم على أهلها، ورأى سدرة المنتهى، ودخل الجنة ورأى النار، وعُرضت عليه أعمال أمته، ورُفع حتى سمع صريف الأقلام التي تكتب القدر، ورفع حتى بلغ موضعًا لم يبلغه جبريل عليه السلام، ثم كلمه رب العزة جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته، وفرض عليه الصلاة، وغفر لأمته المقحمات ـ أي المهلكات ـ ثم نزل إلى الأرض، وعاد إلى مكة، كل هذا في ليلة واحدة[1]. وقد خلد الله هذه الرحلة العظيمة ـ أعظم رحلة في تاريخ البشرية ـ في سورة الإسراء، وقد أحسن الحافظ ابن كثير في جمع ما يتعلق بهذه الرحلة السماوية من أحاديث وآثار في صدر تفسير تلك السورة الهائلة.

وقد سخر الله الشياطين تخدم نبيه سليمان عليه السلام، أما محمد ﷺ فقد أمدّه الله بالملائكة المقربين في غير ما موطن،

---

(١) متفق عليه.

في بدر وأحد والأحزاب وحنين وغيرها. وقد كانت الشياطين تأتي لسليمان عليه السلام مكرهة مجبورة، لكنها تأتي لمحمد ﷺ طائعة مؤمنة مسلمة مختارة، مستمنحة منه التعليم والقرآن، والزاد لهم ولدوابّهم.

وقد كان سليمان عليه السلام يفهم كلام الطير والنمل، وإن العقل ليدهش من سماعه لصوت النملة أولًا ثم فَهْمِ كلامها ثانيا! فما أعظم الخلاق الحكيم العليم، وقد أعطى الله هذه وأكثر وأعجب لمحمد ﷺ؛ فقد كلم الطير والدواب والسحاب، بل أعظم من ذلك حينما كلمه الذراع المسموم المَصْلِي، كما كانت الجبال والحجارة والشجر تسلم عليه بالرسالة قبل مبعثه وتقول: «السلام عليك يا رسول الله» فيا خيبة من الدواب والحجر والشجر أفقه منه وأسبق إيمانًا بنبي الأمة، وسيد البشرية ﷺ!

أما عيسى عليه السلام فقد أعطاه الله إحياء الموتى، وقد أُعطي محمد ﷺ أعظم من ذلك، مثل حنين الجذع حينما تركه وكان يخطب عليه إلى منبر جديد فحنّ حنينًا كحنين العشار،

فلم يزل كذلك حتى نزل رسول الله ﷺ من منبره إليه واستلمه واحتضنه وأخذ يسكنه كما يسكن الطفل[١]، ولا غرو فهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة، كذلك كلام ذراع الشاة المسمومة له، ومثله تسليم الشجر والحجر والجبال عليه، بل وأداؤهن الشهادة له لما طلبها منهن، كما فعل عذق النخل، وكذلك الضب، وكذلك التي خطت الأرض حتى وقفت وشهدت[٢]، وكما أمّنت أسكفّة البيت وحوائطه على دعائه، وكما قد ورد أن الله تعالى قد أحيا بعض الموتى لبعض صحابته كابن العجوز العمياء[٣]، وبعض الحيوانات كحمار المهاجر[٤]، وهذا ببركة اتباعهم له وإيمانهم به.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

(٢) كل هذه الأمثلة الثلاثة قد أجراها الله تعالى له لما طلب منه آحاد الناس ـ في حوادث متفرقة ـ شهادة محددة وهي أن يشهد له كذا بالرسالة فيطلبها رسول الله ﷺ فتستجيب مسخرة طائعة خاضعة وهي أوقع في الإعجاز. فصلى الله وسلم وبارك عليه.

(٣) الدلائل، البيهقي (٦/ ٥).

(٤) الدلائل، البيهقي (٦/ ٤٨) وقال: إسناده صحيح.

ومن معجزات المسيح عليه السلام تكثير الطعام، وقد حدث هذا كثيرًا لنبي الله محمد ﷺ كما في قصة شاة جابر رضي الله عنه مع صاع شعيره الذي أشبع أهل الخندق وهم زهاء ألف[(١)].

ومن معجزات المسيح عليه السلام إبراء الأكمه والأعمى والأبرص، وقد أعطى الله ذلك لنبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه؛ كما في قصة الأعمى الذي طلب منه ذلك[(٢)]، ورده عين قتادة بن النعمان رضي الله عنه يوم بدر بعد أن سالت حدقته على وجنته فبرأ، وكانت أحسن عينيه، بل كانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى[(٣)]، كما أبرأ عين رفاعة بن رافع رضي الله عنه لما ضُربت بسهم ففقئت[(٤)]، وكما أبرأ عين أبي ذر رضي الله عنه في أحد[(٥)]، ونفث في عيني علي رضي الله عنه يوم خيبر

---

(١) متفق عليه.

(٢) أحمد (٤/ ١٣٨).

(٣) صحيح أبي يعلى وأبي عوانة.

(٤) الكبير والأوسط للطبراني.

(٥) أبو يعلى (٢/ ٢١٦) (ح١٥٤٧).

فلم يَشْكُ بعدها[١]، ومسح رِجْلَ عبد الله بن عتيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة قتل أبي رافع اليهودي فبرأ من ساعته[٢]، ولما قُطعت يد خبيب بن أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تفل فيها وألزقها فالتأمت[٣]، وأتاه أقرع فمسحه فنبت شعره وكثر حتى سُمي الهلب ـ أي كثير الشعر ـ[٤]، وتفل على يد محمد بن حاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما احترقت بالنار فبرأ من ساعته[٥]، وغير هذا كثير جدًّا.

قال ابن دريد في شأن ذلك الأقرع: كان أقرعًا فصار أفرعًا. قلت: وهذا من دلائل نبوته بخلاف من كان يدّعيها بالباطل كمسيلمة الكذاب، حيث جعل الله تعالى علامات صدقه دلائل على كذبه؛ فلما مسح على قليل الشعر صار

---

(١) متفق عليه.
(٢) البخاري (٧/ ٤٨٠).
(٣) أحمد (٣/ ٤٥٤).
(٤) الإصابة للحافظ ابن حجر (٣/ ٦٠٩) (٨٩٩٢).
(٥) أحمد (٦/ ٤٣٧).

أقرعًا، ولما مسح عين الأرمد عمي، ولما بصق في البئر الأجاج غار ماؤها!

ومن معجزات المسيح عليه السلام إنزال المائدة عليه لما طلبها الحواريون، وقد حدث هذا كثيرًا لرسول الله ﷺ وصحابته، كما في قصة القصعة التي أكل منها الناس من الغدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة وتُمَدُّ من السماء(١)، والطعام الذي كان يزيد ويربو من وسط القصعة وهم يأكلون، والبر والشعير الذي كان لا ينقص من أوعية بعض أصحابه حال أكلهم منه، بل يبقى قدر ما ابتدؤا منه ببركة دعائه، وكعذق العنب الذي أوتيه خبيبٌ لما كان أسيرًا بمكة قبل أن يقتلوه(٢)، وكالدلو الذي علّق وتدلّى من السماء حتى أروى أم أيمن من العطش حينما كانت مهاجرة صائمة(٣)، فما عطشت بعده رضي الله عنها، وكجفنة صاحب

(١) الترمذي (٣٨٨٦) وقال: حسن صحيح.
(٢) البخاري (٦/ ١٦٥).
(٣) المطالب العالية، الحافظ (٤١٦١).

الرحى والتنور التي امتلأت بعد دعوة امرأته ربها[١].

وكان المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يخبر بالمغيبات، وقد أعطى الله لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا أعظم العطاء وأعجبه، فقد كان يخبر ببعض ما كان وما يكون في الأزمان السحيقة في الماضي والمستقبل وما غاب من الحاضر، ويخبر الرجل عن مسألته قبل أن يسأله، ويخبره بما حدثته به نفسه، وأخبر عن علامات الساعة، ما يتبعها من أحداث رهيبة، ورُوي عنه من المغيبات التي كشفها الله تعالى له أكثر من ستمئة حديث شريف[٢]. وكانت يهود تمتحنه بأسئلة لا يعلم إجابتها إلا آحاد الأحبار فيجيبهم فيشهدون بصدقه.

أما عن تبشير الملائكة لمريم الصديقة بميلاد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد بُشرت أُمُّهُ آمنة بنت وهب الزُّهرية حيث رأت في المنام قائلاً يقول لها: «**إنك قد حملت بخير البرية، وسيد**

---

(١) أحمد (٢/ ٥١٣).

(٢) انظر تقصّيها في: دلائل النبوة، سعيد باشنفر، وإن كان بعضها لا يعوّل على إسناده.

العالمين، فإذا ولدتيه فسميه أحمد ومحمد»[١]، ولما سئل ﷺ: ما كان بدء أمرك؟ قال: «**دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام**»[٢].

أما كلام المسيح عليه السلام في المهد فقد أُثر عن حليمة السعدية ـ مرضعة النبي ﷺ ـ أنها لما فطمته تكلّم فقال: «**الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً**»[٣].

وقد ألّف العلماء كثيرًا من المؤلفات بهذا الخصوص كأبي نعيم وابن الزملكاني وابن كثير وغيرهم.

هذا ومن آيات محمد صلوات الله عليه وسلامه وبركاته ودلائل نبوته التي في القرآن الكريم قصة أصحاب الفيل وهي متواترة عند العرب قبل الإسلام، فإن أهل الحبشة النصارى قد ساروا بجيش كثيف ليهدموا الكعبة لما أهان بعض العرب بنيانهم القُلَّيْسِ الذي باليمن الذي بنوه مضاهاة

---

(١) دلائل النبوة، أبو نعيم (٧٨).

(٢) أحمد (٥/ ٢٦٢).

(٣) الدلائل، البيهقي (١/ ١٣٩).

لبيت الله الحرام وبنيّته المقدسة الكعبة، فأرسل الله عليهم طيرًا أهلكتهم، وكان ذلك العام إرهاصًا لبعثة سيد البشر حيث ولد في السنة عينها ﷺ، وقد أنزل الله في ذلك سورة الفيل.

ومن آياته كذلك أن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا قبيل مبعثه ﷺ، وقد منعت الجن مما كانت تسترق قبل ذلك من السماء، قال تعالى ذاكرًا قول الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ٨ــ ١٠].

❁❁❁❁❁

الفَصْلُ الثَّانِي

اشتمال دلائل نبوته على جنسَي العلم والقدرة

أولاً: العلم:

ما سبق آنفًا إنّما هو في بيان سبق وتفضيل دلائل نبوة نبينا ﷺ على سائر الأنبياء، وهٰهنا نذكر بيان جهة جليلة من هذه الدلائل وهي اشتمالها على العلم الباهر المعجز.

فدلائل نبوته ﷺ قد اشتملت على جنسي العلم والقدرة[1] وهي كثيرة جدًّا، فمن باب العلم: الإخبار بالمغيبات المستقبلية في القرآن الكريم وقد تحققت؛ كالإخبار بغلبة الروم فارس في بضع سنين ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [الروم: ٢ـ ٤]، والوعد باستخلاف المؤمنين

---

(١) الجواب الصحيح (٦/ ٦٩ وما بعدها).

وتمكينهم ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥]، وعدم قدرة أحد على معارضة القرآن الكريم ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وإخباره بهزيمة كفار قريش ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥]، ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾ [الفتح: ٢٢]، ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾ [الفتح: ٢٧]، وإلقاء العداوة والبغضاء بين اليهود، وأن الله تعالى يبطل مكرهم وكيدهم ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٦٤]، كذلك بين النصارى أنفسهم ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ

يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [المائدة: ١٤]، والواقع شاهد بتناحر وتباغض اليهود مع بعضهم، والنصارى مع بعضهم[1]، وتكفير بعضهم بعضًا، وكالإخبار عن اليهود أنهم لن يتمنوا الموت أبدًا، وهذا دليل من وجهين:

من جهة إخباره بأنه لا يكون أبدًا، أو من جهة صرفه لدواعي اليهود من تمني الموت مع أن ذلك مقدور لهم، وهذا أمر من أعجب الأمور الخارقة للعادة ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾ [البقرة: ٩٦]، أي أحرص حتى من المشركين! ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٧].

كذلك إخباره بموت الوليد بن المغيرة وأبي لهب على

---

(١) وقد استقصى ول ديورانت في كتابه الكبير (قصة الحضارة) التناحر والتباغض والحروب والتقتيل والطرد واللعن والتكفير بين طوائف النصارى بما يشهد لهذه الآية العظيمة ويفصل كثيرًا من تأويلها.

الكفر، وهذا خارق عجيب كالذي قبله فمع توفر همتيهما على تكذيبه إلا أنهما لم يُظهرا ضده ولو تظاهُرًا ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]، ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]، وأخبر بفتح مكة وخيبر وحرب بني حنيفة وفتح اليمن وفارس والروم والترك ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ﴾ [الفتح: ٢٠]، ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]، وأن الناس سيدخلون في الإسلام أفواجًا وجماعات ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر: ١، ٢]، وأن المنافقين يعدون اليهود بالنصرة وأنهم لن يوفوا بوعودهم ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ

لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١١، ١٢].

وآياته ﷺ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية، وإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلاً عن غير النبيين، فمن ذلك:

قام يومًا خطيبًا في أصحابه من الفجر حتى مغيب الشمس، فحدثهم بما سيحدث في مستقبلهم من بين أيديهم حتى قيام الساعة (أي من الأمور الكبار والأحداث العظام) حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قال حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنه ليكون منه الشيء فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه»[(١)].

ومنه إخباره لعدي بن حاتم الطائي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ وكان

---

(١) متفق عليه.

نصرانيًّا حينها ـ بفتح الحيرة، وأن الظعينة سترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وبفتح كنوز كسرى، وبزمانٍ يُخرج الرجل صدقته فلا يجد من يأخذها لغنى الناس[١]. وقد رأى عدي اثنتين من هذه النبوءات الثلاث في حياته، أما الثالثة فحدثت في عهد عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال لعوف بن مالك وهو بتبوك: «**اعدد ستًّا بين يدي الساعة**» فذكر موته عليه الصلاة والسلام وفتح بيت المقدس وموتان واستفاضة المال، ثم فتنة عظيمة، ثم هدنة مع الروم، ثم غدر الروم حتى يأتون تحت ثمانين راية تحت كل راية اثني عشر ألفًا[٢] وقد فُتح بيت المقدس بعد موته في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام، وهو طاعون عمواس نسبة إلى قرية عمواس بالأردن، وقد استشهد في ذلك الطاعون أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن

(١) والظعينة هي المرأة المسافرة على الجمل، والحيرة في جنوب العراق حاليًّا.

(٢) البخاري (٦/ ٢٧٧).

جبل وخلق كثير رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ ورحمهم.

ثم استفاض المال في عهد عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، ثم وقعت الفتنة العامة لما قُتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، ولم يبق إلا هدنة الروم وحربهم.

ومنها إخباره بحرب الترك «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأُنُف، كأن وجوههم المجانّ الـمُطرَّقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر**»(١).

قال شيخ الإسلام: «وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما أخبر بذلك ﷺ، وهذه صفتهم التي لو كُلّف من رآهم بعينه أن يصفهم لم يحسن مثل هذه الصفة»(٢).

---

(١) متفق عليه. ومعنى ذلف: أي مستوي طرف الأنف وليس بحد غليظ، والمجانّ المطرّقة هي التروس، شبهها بها لبسطها وتدويرها، وبالمطّرقة لغلظها وكثرة لحمها، والمطرقة هي التي ألبست الجلود، كشعوب وسط وشرق آسيا.

(٢) الجواب الصحيح (٦/ ٨٩).

وأخبر ﷺ أنه «**لن تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى**»(١) وبصرى تقع في جنوب سوريا حاليًّا بقرب درعا الأبيّة المجاهدة، وبينها وبين المدينة النبوية مئات الكيلوات. وقد خرجت هذه النار ليلة الأربعاء من جمادى الآخرة سنة (٦٥٤) للهجرة الشريفة، ورآها الناس، ورأوا أعناق الإبل على ضوئها في بصرى الشام(٢).

وقد تتبعت ما جاء في كتاب (أشراط الساعة) للشيخ يوسف الوابل فأحصيتُ ما يزيد على أربعين آية وعلامة من علامات الساعة الصغرى التي قد حدثت، أي أن أكثرها قد وقع، وأن الأمر قريب والله المستعان، وكلها آيات ودلالات على النبوة.

وأخبر أن عمار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تقتله الفئة الباغية(٣)

---

(١) متفق عليه.

(٢) انظر أشراط الساعة للوابل.

(٣) متفق عليه.

وأخبر أن مَلِكَي فارس والروم في عهده لن يخلفهما أحد من قومهما، وأن كنوزها ستنفق في سبيل الله[١] وأخبر أن الحسن سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[٢] وحدث هذا عام الجماعة بعد وفاة رسول الله ﷺ بثلاثين سنة، وأخبر بفتح مصر وأوصى أمته بهم خيرًا لأن لهم ذمة ورحمًا[٣] وقد قال القس القبطي لما أُخبر بتلك الوصية النبوية: والله ما وصل هذه الرحم إلا نبي. والرحم هو رحم هاجر أم إسماعيل عليه السلام، فهي مصرية، ويقال: إنها كانت بنت ملك في جنوب مصر فاستولى ملك مصر عليه وعلى أهله فاسترق بنته الأميرة هاجر، ثم آلت مولاة لسارة زوج إبراهيم عليه السلام.

كما أخبر أصحابه بعد غزوة الأحزاب «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا**»[٤] فكان كما قال؛ فلم تخرج قريش من مكة

---

(١) متفق عليه.
(٢) البخاري (٥/ ٣٠٦).
(٣) مسلم (٤/ ١٩٧٠).
(٤) البخاري (٧/ ٤٠٥).

للغزو حتى فتحها رسول الله ﷺ، وقال لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إن الله مقمّصك قميصًا فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه**»[١] أي الخلافة وقد حصل ذلك حتى استشهد شهيد الدار ولم يخلع نفسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما أخبر عنه أنه سيدخل الجنة على بلوى تصيبه[٢] فكان كما قال، وأخبر عن الخوارج وخروجهم على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأن آيتهم أن فيهم رجلاً مخدّج اليد، على عضده مثل البضعة تدردر عليها شعرات، وأن هذه المارقة تخرج على حين فرقة من الناس، وأن الطائفة التي تقتلهم هي أولى الطائفتين بالحق[٣] فخرجوا بعد وفاته ببضع وعشرين سنة، وأخبر عن الأمراء الذين سيلون أمر المسلمين ويؤخرون الصلاة[٤] ويستأثرون عليهم

---

(١) الترمذي (٥/ ٦٢٨)، وقال: حسن غريب، أحمد (٦/ ٦٥).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه. وكان قتلهم على يد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتلهم على يد أقرب الطائفتين إلى الحق من مفردات مسلم.

(٤) مسلم (١/ ٤٤٨).

بالمـال[١] فكـانوا بعـض بنـي مـروان، وأخـبر أن ابنتـه فاطمـة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا هـي أول مـن سيلحق بـه مـن أهـل بيتـه بعـد وفاتـه ﷺ[٢] وأخـبر أن أول زوجاتـه لحوقًـا بـه أطـولهن يـدًا ـ أي صدقة[٣]ـ فكانت زينب لأنها أكثرهن بذلًا ليدها في الصدقة، وأخبر أن أم حـرام سترافق أول جيش للمسلمين يغزون في البحر، وقد تحقق هذا بعد أكثر من ثلاثين سنة بعد وفاته في خلافـة معاويـة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وأخـبر أن طائفـة مـن أمتـه لا تـزال ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة[٤] وهذا ـ بحمد الله ـ حاصل إلى يومنا هذا، فلم يزل في الأمة فئة ظاهرة بالعلم والدين والسيف، وإن غُلبت طائفـة في قطـر كانـت أختهـا في قطـر آخـر مظفـرة منـصورة،

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

وأخبر أنه سيكون في ثقيف كذاب ومبير(١) وقد ظهرا بعده فالكذاب هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي كان يزعم أنه يُوحى إليه، والمبير هو الحجاج بن يوسف الثقفي الذي قتل الناس وسفك الدماء بغير حق، كما أخبر أن الإسلام لا يزال عزيزًا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش(٢) ثم يكون الهرج ـ أي القتل العام ـ وقد وقع هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم وقع الهرج عام (١٢٥) للهجرة، ثم تأمل حال أهل الأرض الآن فلا تخلوا نشرة أخبار من قتل في صقع! والمشتكى إلى الله فأكثرهم من أمة محمد ﷺ فهي أمة صبر وامتحان وابتلاء، وأخبر عن كذَّابَيْن يخرجان بعده(٣) فخرجا وهما الأسود العنسي في اليمن ومسيلمة الكذاب في اليمامة، وأخبر عن قتل الناس

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه، وزيادة «**ثم يكون الهرج**» عند أبي داود بسند جيد (٤/ ١٠٦).

(٣) البخاري (٨/ ٨٩).

بعضهم بعضًا حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء[1] وحجارة الزيت موضع قرب المدينة، وقد حدث هذا في عهد يزيد بن معاوية في حادثة الحرة الكارثية!

فهذا وأمثاله كثير جدًّا قد أخبر عنه الرسول ﷺ فوقع طبق ما أخبر، ورأى الناس ذلك وانتشر.

كذلك فقد أخبر بأشياء غيبية في زمانه فكانت مثل ما أخبر، ومن ذلك خبره بعد استعصاء خيبر على الفتح أنه سيعطي الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، فكان كما قال والرجل هو علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[2] وأخبر عن رجل كان يقاتل في صفه قتالاً شديدًا أنه من أهل النار، فتتبعه رجل فوجده قد أصابته الجراح وأثخنته فقتل نفسه انتحارًا[3] وأخبر عن الظعينة التي معها كتاب تجسس أنهم سيدركونها في روضة

(١) الحاكم (٤/ ٤٢٤) ووافقه الذهبي.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

خاخ[١] فكان كما قال، وأخبر عن يوم وفاة النجاشي حين مات[٢] كذلك خبره عن مقتل ملك الفرس، وأخبر أن الأرضة أكلت ما كان في صحيفة الكفار التي تعاهدوا فيها على حصار المسلمين ومن حالفهم، وكانت معلقة في سقف جوف الكعبة[٣] وقد أنشأ في شأنها أبو طالب لاميته المشهورة التي قال عنها ابن كثير: هي أفحل من المعلقات جميعًا. وأخبر أنه سيقتل أمية بن خلف بيده[٤] وكان كما قال، بل هو الوحيد الذي قُتِلَ على يده، وويلٌ له! وأخبر عمير بن وهب عما تعاقد عليه هو وصفوان بن أمية في حجر الكعبة وتكاتما عليه من إرادة اغتيال النبي ﷺ فكان على إثرها إسلام عمير[٥] كذلك حدّث فضالة بما يدور في نفسه من إرادة اغتياله ووضع يده

(١) متفق عليه.

(٢) مسلم (٢/ ٦٥٧).

(٣) الدلائل، البيهقي (٢/ ٣١١-٣١٥٩)، البداية والنهاية، ابن كثير (١/ ٤٨٦).

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام (٣/ ٨٩).

(٥) السيرة النبوية، ابن هشام (٢/ ٣١٦).

على صدره فما رفعها حتى صار أحب الناس له، كما أخبر أصحابه عن هبوب ريح شديدة في ليلتهم تلك ـ في مسيرهم لتبوك ـ ونهاهم أن يقوم منهم أحد، فهبت الريح وقام منهم رجل فحملته حتى ألقته بجبلي طيء[١] والجبلان هما أجا وسلمى، وأخبر العباس عن ماله الذي استودعه أم الفضل واستكتمها إياه قبل خروجه لبدر، فأسلم العباس على إثر ذلك[٢] وأخبر المسلمين عن مشاهد وأحداث مباشرة في نفس الوقت عن معركة مؤتة، وكانت بالأردن بينما هو يحدث أصحابه بالمدينة عنها كأنها رأي عين[٣].

ثانياً: القدرة:

قد أسلفنا شيئاً من دلائل رسالة حبيبنا نبي الله محمد ﷺ بالإخبار عن المغيبات وهو تابع لمعجزة العلم، والآن نسرد

---

(١) متفق عليه.

(٢) أحمد. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٣) البخاري (٧/ ١٠٠).

شيئًا من دلائل نبوته المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير[١] وهي تسعة أنواع:

الأول: ما هو في العالم العلوي:

كانشقاق القمر[٢] وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة لما بعث، وكمعراجه إلى السماء، ومعلوم بالضرورة ومطرد العادة أنه لو لم يكن هناك انشقاق حقيقي للقمر لأسرع بعض المؤمنين لتكذيب ذلك فضلاً عن الكافرين والمنافقين، وقد كان ﷺ يقرأ سورة القمر في المجامع الكبار، وكان كل الناس يُقرُّون بذلك ولا ينكرونه، وحتى يتأكد المشركون أنه لم يسحرهم بانشقاق القمر سألوا المسافرين الذين أتوا من كل وجه، فكلّهم أقرّ بمشاهدته لذلك الانشقاق العظيم، كذلك الإسراء بين المسجدين، وحينما أخبرهم في الصباح سألوه عن صفته ونعته، فنعته لهم ولم يخرم من النعت شيئًا، وأخبرهم عن

---

(١) ينظر: المجلد السادس من: الجواب الصحيح، بتمامه وبخاصة (ص١٥٩-٣٢٣).

(٢) متفق عليه، وقد مر معنا الكلام عليه.

عِيرهم التي كانت في الطريق.

كذلك المعراج وما فيه من آيات باهرات، والدرجات التي رُفِعَهَا نبينا محمد ﷺ ليلة المعراج وسيرفعها في الآخرة في المقام المحمود الذي سيغبطه عليه الأولون والآخرون الذي ليس لغيره مثله.

النوع الثاني: آيات الجو:

كاستجابة الله تعالى دعاءه في استسقائه واستصحائه، ومن هذا الباب نصر الريح له بإذن الله تعالى.

النوع الثالث: تصرفه في الحيوان، الإنس والجن والبهائم:

كإخراجه الجني من بدن الصبي حين بصق في فيه وقال: «**اخسأ عدو الله وأنا رسول الله**» ثلاث مرات[1]، ثم قال: «**شأنك بابنك، وليس عليه بأس، فلن يعود إليه شيء مما كان يصيبه**»[2]، وكاستماع جن نصيبين له حينما كان

---

(١) مسند أحمد (١٧٥٤٨).

(٢) مجمع الزوائد (٩/٧) (٩/١٠).

يصلي أثناء رحلة عودته من الطائف، ثم آذنته الشجرة بهم فاستقبلهم وقد كانوا كُثُر حتى تزاحموا عليه، ودعاهم للإسلام، وعلّمهم، فدخلوا في دينه وصاروا دعاة لقومهم كما فصّلت ذلك سورة الجن، والأظهر أنهم كانوا نصارى بولسيين كما ذكر الله تعالى عنهم تنزيههم رب العالمين عن الصاحبة والولد ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: ٣، ٤].

وكالرجل الذي عرض له بسيفه وقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فارتعدت يده حتى سقط السيف، فتناوله رسول الله ﷺ ثم قال: «**يا غورث من يمنعك مني؟**» فقال: لا أحد[١].

وحينما جاءه جمل يرقُل ــ أي: يسرع في سيره ــ قال: «**أتدرون ما قال هذا الجمل؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا جمل جاءني يستعدي على سيده، يزعم أنه كان يحرث**

(١) متفق عليه.

عليـه منـذ سـنين حتـى إذا أجربـه وأعجفـه وكـبر سـنه أراد نحـره...» ثم ابتاعه من سيده، ثم سيّبه في الشجر حتى نصب سنامًا، كل هذه الدلائل وأكثر قد حدثت في غزوة ذات الرقاع وتسمى «غزوة الأعاجيب»[١] وقد مضت أمثلة لهذا النوع.

النوع الرابع: آثاره في الأشجار والخشب:

كحنين الجذع شوقًا إليه حتى كاد أن ينشق فنزل وضمه حتى سكن واستقر[٢] وأمره للشجرتين أن تلتئما عليه لما أراد قضاء حاجته[٣] وكعذق النخلة الذي جاءه ينقز حتى قام بين يديه وشهد له بالرسالة[٤] والسلمة التي أقبلت إليه لما دعاها وكانت بشاطئ الوادي حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثًا فشهدت له ثم رجعت إلى منبتها[٥] والشجرة التي آذنته

(١) والحديث الطويل فيها أورده الهيثمي، المجمع (٩/ ٧).

(٢) البخاري (٤/ ٣١٩).

(٣) مسلم (٤/ ٢٣٠٦).

(٤) المجمع، الهيثمي (٩/ ١٠).

(٥) الدارمي (١/ ٩).

ـ أي: أخبرته ـ بالجن ليلة استمعوا القرآن[١] وكتسليم الجبال والحجر والشجر عليه بالرسالة[٢].

النوع الخامس: الماء والطعام والثمار الذي كان يكثر ببركته فوق العادة:

وهذا باب واسع، وتقدم بيان بعضه، وذكرنا لبعضها هو من باب ربطها بسياق واحد، مع مزيد من الأخبار سواء في الكم أو الكيف، ونذكر منه أمثلة؛ أما الماء: فحينما خرج في بعض مغازيه ومعه أناس كثيرون، فحضرت الصلاة ولم يجدوا ماءً يتوضئون به، فانطلق رجل منهم فجاء بقدح فيه ماء يسير، فأخذه رسول الله ﷺ فتوضأ، ثم مدّ أصابعه الأربع على القدح ثم قال: «**قوموا فتوضئوا**»، وكانوا قرابة السبعين رجلاً[٣] وفي مرة أخرى كانوا ألفًا وأربعمئة[٤] قال

---

(١) متفق عليه.

(٢) المستدرك، الحاكم (٢/ ٦٢٠) ووافقه الذهبي.

(٣) البخاري (٦/ ٥٨١).

(٤) متفق عليه.

جابر: فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه. وحينما وقفوا على بئر ماؤها قليل جدًّا أنزل فيها ستة رجال حتى ينزحوا له منها دلوًا، فلم يجدوا من الماء إلا نصف الدلو، فرفعوه إليه، فوضع يديه في الماء ودعا ربه وأنزل الدلو في الماء فثار ماؤها حتى إن أحد الرجال الستة قد أخرج بثوب مخافة الغرق(١).

أما الطعام فمن أمثلته؛ لما كانوا في الخندق يحفرون وقد أصابهم جوع شديد، فذهب جابر بن عبد الله إلى زوجته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وذبح بُهيمة صغيرة، وطحن صاع شعير وأصلحه، وجاء رسول الله ﷺ وسارّه أن يأتي ومعه نفر قليل لطعامه، فصاح رسول الله ﷺ في الناس قائلاً: «**يا أهل الخندق، إن جابرًا قد وضع لكم سورًا فحي هلاً بكم**» والسور: الطعام. وقال لجابر: «**لا تنزلن برمتكم، ولا يُخبزنَّ عجينكم حتى أجيء**» ــ والبرمة: القدر الصغير ــ فأتى وبصق في البرمة والعجين وبارك، فأكل الرجال وهم ألف.

(١) أحمد (٤/ ٢٩٢) بسند صحيح.

قال جابر: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ـ أي: أكلوا حتى شبعوا وقاموا ـ وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليُخبز كما هو»(١).

ومثله أقراص أبي طلحة من الشعير وكانت قليلة، فدعا رسول الله ﷺ من معه من الناس بعد أن أخبرهم بما في نفس أنس رسول أبي طلحة ـ وكان من معه قرابة السبعين رجلاً ففتَّ أقراص الشعير وعصر العُكّة عليه، ـ والعكّة: وعاء من جلد يحفظ فيه السمن ـ وقال ما شاء الله أن يقول، فأكل منه الرجال عشرة عشرة حتى شبعوا وخرجوا، وفضل منه فأهدوا لجيرانهم(٢).

ولما كانوا بخيبر أمر أن يجمعوا أزوادهم في نطع مبسوط ـ أي جلد ـ قال سلمة: فحزرته كربضة الشاة ـ أي قدّرته كقدر مكان ربضها ـ ونحن أربع عشر مئة، قال: فأكلنا، ثم نظرت

---

(١) متفق عليه.
(٢) مسلم (٣/ ١٦١٤).

إليه فحزرته كربضة الشاة[١] وفعل نحوه في غزوة تبوك، وأمثلته كثيرة.

أما تكثير الثمار فمن ذلك؛ أن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما استشهد أبوه وترك دينًا وست بنات، فلما حضر جداد النخيل دعا رسول الله ﷺ الغرماء وكال لهم حتى أوفاهم، وفيهم يهودي كان له ثلاثون وسقًا، ـ والوسق: قرابة (١٨٠) كيلو ـ وبقي منها بعد الوفاء كثير[٢] وأتى أبو هريرة بتمرات إلى رسول الله وقال: ادع الله لي فيهن بالبركة، فصفّهن بين يديه ثم دعا، ثم قال: «**اجعلهن في مزودك فأدخل يدك ولا تنثره**» قال: فجعلت منه كذا وكذا وسقًا في سبيل الله، ونأكل ونطعم، وكان لا يفارق حقوي ـ والحقو: الخاصرة ـ فلما قتل عثمان انقطع من حقوي فسقط[٣]. وأمثلته كثيرة.

---

(١) مسلم (٣/ ١٣٥٤).

(٢) البخاري (٥/ ٦٠).

(٣) المسند، أحمد (٢/ ٣٥٢).

النوع السادس: تسخير الأحجار له:

كما أمر جبلي أحد وحراء بالسكون لما رجفا، وكالحجر الذي كان يسلم عليه بمكة إذا مر عليه ويقول: السلام عليك يا رسول الله، وقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله[(١)]. وحينما أخذ قبضة من الأرض ورمى بها في وجوه الأعداء في بدر وحنين وهو يقول: «**شاهت الوجوه**» فما منهم من أحد إلا دخل عينيه من تراب تلك القبضة، فولوا مدبرين منهزمين[(٢)].

النوع السابع: تأييد الله تعالى له بالملائكة الكرام:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وقد أمده

---

(١) سنن الترمذي (٣٦٢٦).

(٢) في حنين، مسلم (٣/ ١٤٠٢)، وفي بدر، سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٩)، جامع البيان، الطبري (٩/ ٢٠٥).

الله تعالى بالملائكة في بدر وأحد والخندق وبني قريظة وحنين والهجرة، قال ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: بينما رجل من المسلمين يومئذ ـ أي في بدر ـ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة سوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه، كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فحدّث رسول الله ﷺ فقال: «**صدقت، ذلك مدد من السماء الثالثة**»[1].

وقال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض، يقاتلان عن رسول الله ﷺ أشد القتال، ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده» ويعني بهما جبريل وميكائيل عليهما السلام[2] وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كأني أنظر إلى الغبار ساطعًا في زقاق بني غنم موكب جبريل صلوات الله عليه

---

(١) مسلم (٣/ ١٣٨٣).

(٢) مسلم (٤/ ١٨٠٢).

حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة»[١]. وحينما عاد رسول الله ﷺ من ثقيف جاءه ملك الجبال وسلّم عليه، وعرض عليه أن يطبق على قريش الأخشبين - وهما جبلا مكة الكبيران - فقال ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا**»[٢].

النوع الثامن: حفظ الله تعالى له وكفايته له من أعدائه وعصمته له من الناس:

وهذا فيه آيات لنبوته من وجوه:

أن ذلك تصديق لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، ولقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، ولقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

---

(١) البخاري (٧/ ٤٠٧). والزقاق: السكة أو الطريق بين البيوت - وبني غنم بطن من الخزرج.

(٢) متفق عليه.

ومنها: أنه قد كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارقة للعادة.

ومنها: أنه نصره مع قوة أعدائه وكثرتهم، مع كونه وحيدًا مجاهرًا بمعاداتهم وشتم آلهتهم وتسفيه أحلامهم، مع أن العرب كانوا معظمين لهم خاصة بعد حادثة الفيل الرهيبة.

ومن أمثلة ذلك الحفظ والنصر؛ أن أبا جهل لما قال لقريش: هل يُعفِّرُ ـ أي: يسجد ـ محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، فذهب إليه ليوفي بقسمه المشين، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه. فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**»[1]. وأنزل الله من السماء: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن

---

(١) متفق عليه.

كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ٩-١٩].

ولما أراد سراقة بن مالك القبض عليه وهو مهاجر من مكة، وكان يركض بفرسه على أرض صلبة فارتطمت فرسه بالأرض وساخت إلى بطنها، وحُبس عنهم حتى قال: إني قد علمت أنكما دعوتما علي فادعوا لي...»[١].

ولما كان بغزوة ذات الرقاع في واد كثير العضاه ـ أي: الشجر الكبار ـ نزل رسول الله وعلق سيفه بغصن من أغصانها فإذا رجل من أعدائه قد أخذ سيفه وهو يقول له: من يمنعك مني؟ فقال: «**الله**» فمنعه الله[٢].

وأتاه رجل من النصارى فأعلن الإسلام وقرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي ﷺ فارتد نصرانيًّا، وكان

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له ـ من أجل أن يفتن الناس عن الإسلام ـ فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعله آية**» ـ وذلك لعظيم فتنته ـ فأماته الله، فأصبح وقد لفظته الأرض بعد أن دفنه أصحابه، فقالوا: هذا من فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم، فحفروا له فأعمقوا ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فحفروا له في الثالثة وأعمقوه أكثر فلفظته في الليلة الثالثة، فقالوا: إنه ليس من فعل الناس. فتركوه منبوذًا[1] فكان للناس آية.

ولما اجتمعت قريش في ناديهم حول الكعبة وذكروا تسفيهه لأحلامهم وعيب دينهم، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفًا بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض ما يقول، فعُرف ذلك في وجهه، ـ وهذه من صفاته صلوات الله وسلامه عليه فكان وجهه صدى صادقًا لمشاعره وهذا من صفاء نفسه

(١) متفق عليه.

وصدق أخلاقه ـ فلمّا مر الثانية غمزوه بمثلها، والثالثة كذلك فوقف عليهم وقال: «**تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح**» فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشدًا، فوالله ما كنت جهولًا[1]. فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وتذاكروا قوله بالأمس، فتعاقدوا عليه، فلما أقبل وثبوا عليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به وهم يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا ـ من عيب دينهم وسب آلهتهم ـ وهو يقول: «**نعم أنا الذي أقول ذلك**» ـ وهذا في غاية شجاعة الرجال وجسارة البشر، فلم يُلن لهم الكلام ولم يستدرّ شفقتهم ورحمتهم، ولم يستخدم المجملات، ولم يركب التأويلات، بل جابههم بقوله الحاسم مع التأكيد على أنه هو

(١) وعند أبي يعلى بسند حسن (٧٣٣٩) أن القائل هو أبو جهل، فقال له رسول الله ﷺ: «**أنت منهم**».

الذي يقول ذلك! ـ حتى قام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] ثـم انـصرفوا عنه»[١].

ولما كان يصلي عند البيت أخذوا سلا جزور قد نحرت بالأمس[٢] فلما سجد وضعوه بين كتفيه، وضحكوا، وجعل بعـضهم يميـل عـلى بعـض، وأصـحاب لـه جلـوس لا يـستطيعون نـصرته لاستضعافهم، ولم يرفع النبي ﷺ رأسه حتى قدمت ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها لما أخبروها، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى صلاته، رفع يديه وصوته ودعا عليهم بأسمائهم وخص منهم سبعة، وكانت نهايتهم كلهم أن قتلوا في معركة بدر، وسحبوا إلى قليبها ورموا فيها[٣].

---

(١) مسند أحمد (٢/ ٢١٨).

(٢) الجزور هي الناقة المنحورة، والسلى: المشيمة وهي في غاية القذارة.

(٣) متفق عليه، وفي رواية: أن أمية بن خلف كان رجلاً ضخماً فانتفخ وقطعت أوصاله فلم يلق في البئر.

ويدخل في هذا الباب ما لم يزل الناس يرونه ويسمعونه من انتقام الله ممن يسبه ويذم دينه بأنواع العقوبات. قال شيخ الإسلام: «وفي ذلك من القصص الكثيرة ما يضيق المقام عن بسطه، وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع العقوبات العجيبة التي تبين كلاءة الله لعرضه، وقيامه بنصرته، وتعظيمه لقدره، ورفعه لذكره، ومن المعروف المجرب أن عساكر المسلمين بالشام إذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب، أنه يتعسر عليهم فتح الحصن ويطول الحصار إلى أن يسب العدوُّ الرسولَ ﷺ، فحينئذ يستبشر المسلمون بفتح الحصن وانتقام الله من العدو، فإن ذلك يكون قريبًا جدًّا، كما جرب المسلمون غير مرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، ولما مزق كسرى كتابه مزق الله ملك الأكاسرة كل ممزق، ولما أكرم هرقل والمقوقس كتابه ثبّت الله لهم ملكهم إلى حين»[١].

---

(١) الجواب الصحيح (٦/ ٢٩٦).

النوع التاسع: إجابة دعوته:

ومعلوم أن من عوّده الله إجابة دعائه فهذا دليل على صلاح دينه وحاله، وهذا كثير جدًّا؛ مثل دعائه على من كذب عليه فمات ثم لفظته الأرض ثلاث مرات، ودعائه على السبعة من قريش بأسمائهم فقتلوا قتلة واحدة في بدر، ودعائه على عتيبة بن أبي لهب لما آذاه فأكله الأسد من بين رفقته.

ومثل دعائه لما قلّ الزاد وجمعوه على نطع فكثره الله ببركة دعائه حتى أشبع الجيش العظيم في غزوة تبوك، ومثلها في الخندق لما أشبع الألف من صاع شعير، وكذلك لما دعا بالبركة في بئر الحديبية حتى أروت الجيش وهم ألف وأربعمئة وركابهم، ودعائه للأعمى فرد الله عليه بصره، وفي الاستسقاء فأمطرت السماء، وفي الاستصحاء فأقلعت وما يشير إلى جهة في السماء إلا انقشع سحابها، ودعائه على سراقة حين تبعهم في هجرتهم فساخت قوائم فرسه في الأرض مرارًا في أرض صلبة، ودعائه يوم بدر وحنين فأجابه الله بمدد من الملائكة، ودعا لأنس أن يكثر الله ماله وولده فرأى

من ولده لصلبه بضعة وعشرين ومئة قبل موته، وكان بستانه يحمل الفاكهة مرّتين على خلاف العادة، ولما دعا لأم أبي هريرة أسلمت مباشرة وكانت قبل تأبى، واستجاب دعوته في تفقيه ابن عباس فصار من بحور العلم، ودعا لجمل جابر الذي كاد أن يسيّبه من ضعفه فعاد من أجود الإبل، ودعا لسعد بن أبي وقاص بإجابة الله دعوته وتسديد رميته فكان لا تخطئ له دعوة ولا رمية، ودعا لأبي زيد الأنصاري: «**اللهم جمّله وأدم جماله**» فبلغ بضعًا وثمانين سنة وما في لحيته بياض إلا نزر يسير وكان منبسط الوجه لم يتقبض وجهه حتى مات[١]، ولما دعا لعروة بن الجعد بالبركة فكان لو اشترى التراب لربح فيه من البركة، ولما أصرّ أحدهم على الأكل بشماله واحتج بعدم استطاعته قال: «**لا استطعت ما منعه إلا الكبر**»[٢] فما رفعها إلى فيه بعد.. إلى غير ذلك من الوقائع

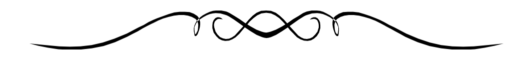
---

(١) مسند أحمد (٥/٧٧) (٢٠٧٥٢).

(٢) متفق عليه.

الكثيرة[١] التي زادت على مئة وستة وعشرين واقعة[٢].

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه عدد ما كان وما يكون وما سيكون.



(١) انظر تفصيل ذلك في: الجواب الصحيح (٦/ ٣٢٤ـ٣٧٩).

(٢) انظر تفصيلها: دلائل النبوة، سعيد باشنفر (١/ ٣٥٥ـ٤٨٠).

صفحة بيضاء

الفصل الثالث

أعظم براهين الأنبياء بإطلاق القرآن العظيم

إن الله تعالى لم يخلقنا عبثًا ولم يتركنا سُدى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]. بل خلقنا لعبادته والإيمان به وتوحيده والتعلق به ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وعلى هذا فلن يترك البشر بدون رسول يهديهم من الضلالة ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، وقد تم ذلك بإرسال الرسل الكرام عليهم صلوات الله وسلامه على مدى التاريخ البشري، حتى إذا أشرفت شمس زمان الدنيا على المغيب أرسل الله رسولاً خاتمًا إلى جميع البشر بامتداد زمانهم حتى قيام الساعة، وقد أعطاه من دلائل النبوة وبراهين الصدق ما

يسلّم بها كل حرٍّ منصف نبيل نفس.

ورسول الله محمد ﷺ هو النبي الخاتم للمرسلين، ورسالته عامّة للناس كافة، لذا فلا بد أن يُعطى معجزة خاصّة تليق بهذه الرسالة العامة الباقية، فليست خاصة بأحد دون غيره، ولا بزمان دون غيره، ولا بمكان دون آخر، بل هي عامّة للثقلين في كل مكان وزمان، هذا وزمانها يمتدّ للزمن الغابر البعيد، فما من نبيّ إلا أُخذ عليه الميثاق لئن بُعَث محمد وأنت حيّ لتتبعنّه قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢] ودليل عموم رسالته إلى الناس كافة قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله سبحانه وبحمده: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]. والله تعالى لا يقبل دينًا سوى دينه الإسلام الذي بعثه لإقامته والدعوة إليه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وكما قال ﷺ: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»[1]، وقال: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا**

---

(١) رواه البخاري.

نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار»[١]، وقد بشر بانتشاره ورفعته فوق غيره من الأديان «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار**»[٢]، وكما قيل: بعث الله موسى بالجلال، وبعث عيسى بالجمال، وبعث محمد بالكمال ﷺ[٣].

وأعظم دلائل نبوّته القرآن الكريم، وهو «العهد الأخير»[٤] والقرآن الكريم العظيم المجيد هو كلام الله تعالى أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ، وفيه الدعوة، وفيه الحجة، وللنبي محمد ﷺ اختصاص به كما قال ﷺ: «**ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد (٢٨/ ١٥٥).

(٣) الجواب الصحيح (٥/ ٨٦).

(٤) قال ديدات: لئن كانت التوراة هي العهد القديم، والأناجيل هي العهد الجديد، فلا ريب أن القرآن الكريم هو العهد الأخير.

تابعًا يوم القيامة»[1]، وقال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٣، ٥٤]، وقال جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

والقرآن المجيد هو آية وبرهانٌ له من وجوه مجملة ومفصلة:

أما المجملة؛ فقد علمت الأمم أن محمدًا ﷺ هو الذي أتى بهذا القرآن، والقرآن نفسه فيه تحدي الأمم بالمعارضة ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ

---

(١) رواه البخاري.

﴿وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤]، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ومن حين بعثه الله إلى اليوم والأمر على ذلك، ولم يستطع أحدٌ أن يأتي بمثله.

ومعجزات القرآن كثيرة، ولكن يجمعها أنه كلام الله تعالى، ولا يستطيع المخلوق ـ مهما بلغ ـ أن يأتي بمثل كلام الخالق. ومن معجزات القرآن الكريم، فصاحته وبلاغته ونظمه وأسلوبه وإخباره بالمغيبات ومعانيه العظام[١].

أما الوجوه المفصلة فاعلم أن القرآن نفسه قد بيّن من آيات نبوته وبراهين رسالته أنواعًا متعددة، مع اشتمال كل نوع على عدد من الآيات والبراهين، ومن أمثلة ذلك:

إخباره لقومه بالغيب الماضي الذي لا يمكن لبشر أن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح عليه السلام، للإمام ابن تيمية (٥/ ٤٢٢-٤٣٧).

يعلمه إلا أن يكون نبيًّا أو تلقاه عن نبي، وهو نوعان:

الأول: ما كان سأله عنه المشركون وأهل الكتاب اختبارًا له.

والثاني: ما كان الله يخبره به ابتداءً ويجعله علمًا لنبوته، والأمثلة كثيرة منها:

ما جاء في قصة يوسف وإخوته ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، ومنه قصة ذي القرنين ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]، ومنه قصة أصحاب الكهف ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩]، ولما قصّ الله خبر نوح وهود عليهما السلام قال: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩]، كذلك قصص إبراهيم ولوط ويعقوب ـ إسرائيل ـ

وموسى وداود، ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وقصة الذي أماته الله مئة عامة ثم بعثه [البقرة: ٢٥٩]، وكثير من أحوال بني إسرائيل، وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار مفصلة بأحسن بيان وأتم معرفة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

كذلك الوحي الثاني وهو السنة النبوية والقرآن والسنة كلاهما وحي الله وكُلًّا منهما برهان للآخر، وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**ألا إنما أوتيت القرآن ومثله معه**»(١) أي كلاهما من مشكاة واحدة.

والسنّة هي من الوحي الربّاني، وإن كان القرآن أرفع شأناً لخصائص ليست في غيره، وسنضرب لذلك أمثلة يسيرة

---

(١) مسند أحمد (٢٨/ ٤١٠) (١٧١٧٤).

ثـم نعـود للحـديث عـن القـرآن المجيـد، إذ الـسُّنَّة المُطهّـرةُ لا تنفكّ عن القرآن الكريم، فمن أمثلة ذلك:

أسئلة سيد اليهود وحبرهم وعالمهم عبد الله بن سلّام لمـا جاءه بعد هجرته للمدينة مباشرة فقال له: «إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ والولد ينزع ـ أي يذهب شبهه ـ إلى أمه تارة وإلى أبيه؟» قال: «**أخبرني جبريل آنفًا**»، ثم أجابه على أسئلته الثلاثة مؤيدًا بالوحي، وكان على إثرها أن أسلم سيد اليهود عبد الله بن سلّام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم استدعى رسول الله ﷺ اليهود وخبّأ إسلام سيدهم، ثم سألهم عنه، فقالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فلما علموا بإسلامه انقلبوا عليه وقالوا: شرنا وابن شرنا[١].

ثـم جـاء بعـده حـبر مـن أحبـارهم وسـأله خمسة أسـئلة تمهيدية؛ عـن مكـان النـاس يـوم تبـدل الأرض غـير الأرض،

---

(١) القصة في البخاري، وانظرها مع شرحها في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٧/ ٢٧٣).

وعن أول الناس إجازة، وعن تحفتهم حين يدخلون الجنة، وعن غذائهم في أثره، وعن شرابهم عليه[1]، فلما أجابه قال: صدقت. ثم سأل السؤال الكبير فقال: جئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: «**ينفعك إن حدثتك؟**» قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: «**ماء الرجل أبيض، وماء المرأة**

---

(١) لاحظ وفرة المعلومات عند أحبار اليهود عن تفاصيل اليوم الآخر، مع أن التوراة الموجودة في البيبل لا تكاد تذكره أصلاً مما يدل على كتمهم للكثير من العلم. قال شيخ الإسلام: «... ولهذا كانت التوراة مملوءة من إثبات صفات الله، وأما ذكر المعاد فليس هو فيها كذلك، حتى قيل: إنه ليس فيها ذكر للمعاد» درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٥/ ٣١٠).

وقال الدكتور علي عبد الواحد في كتابه (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام): «كانت الديانة اليهودية في أصلها تقرر البعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار، كما ينبئ بذلك القرآن، ولكن أسفار العهد القديم خلت من ذلك، ومن ثمّ لا نجد من بين فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على النحو الذي يقرره الإسلام».

أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منيّ الرجل منيّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا منيّ المرأة منيّ الرجل آنثا بإذن الله» فقال اليهودي: صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف! فقال النبي ﷺ: «**إنه سألني هذا الذي سألني عنه وما أعلم شيئًا منه حتى أتاني به الله تعالى**»(١).

ثم حضرت عصابة من اليهود فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمها إلا نبي. فقال: «**سلوني عمَّ شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه، إن أنا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقًا لتُتابِعُنِّي على الإسلام**» فقالوا: لك ذلك. قال: «**فسلوني عمّ شئتم**» قالوا: أخبرنا عن أربع خلال.. فسألوه عما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وعن سبب جنس الولد ذكرًا أو أنثى(٢)، وعن النبي

(١) رواه مسلم (٢٥٢، ٣١٥).

(٢) تواردت أسئلتهم على السؤال عن الولد وجنسه وشبهه، فلعل عندهم من العلم الخفي أن من علامات النبي الخاتم أن يجيبهم على ذلك، وقد أثبت الطب الحديث صحة الجوابين سواء في سبب =

في النوم، وعن وليّه من الملائكة، وكان يأخذ عليهم عهد الله وميثاقه لإخراج علمهم مع كل إجابة، فيقولون: اللّهم نعم ـ أي تصديقًا لصحة جوابه ـ فيقول بعدها: «**اللهم اشهد**»، وبعدها احتجوا بجوابه الأخير ـ مع اعترافهم بصحته ـ أن جبريل هو وليه من الملائكة لكنه عدو اليهود! ـ وهو المخرج الذي قد جهزوه سلفًا ـ فأبوا متابعته على الإسلام ورضوا بالكفر والسخط من الله[1]، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ

= الجنس أو لحوق الشبه، وقد كتبت في ذلك بحوث متخصصة.

(١) مسند الطيالسي ورجاله ثقات (٣٥٦، ٢٧٣١).

أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٩٧-١٠١][١].

إنه القرآن العظيم الذي فيه خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا وحكم ما بيننا، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧].

قال المستشرق الإنجليزي والقس الأنجليكاني مونتجمري (ت: ٢٠٠٦م) بعد خمسة وثلاثين عامًا قضاها في دراسة القرآن الكريم والإسلام: «إن الوحي الإسلامي لابد من تناوله بجدية، إن القرآن صادر عن الله وليس كلام محمد بحال من الأحوال، ومحمد ليس أكثر من رسول اختاره الله لحمل الرسالة... إن القرآن يحظى بقبول واسع بصرف النظر عن لغته لأنه يتناول القضايا الإنسانية[٢]، ونحن نؤمن

---

(١) وانظر: الجواب الصحيح (٥/ ٣١٩ وما بعدها).

(٢) قال الدكتور عمر الأشقر: «معجزة القرآن الكريم نمط فريد من المعجزات، فهو معجزة في بنائه التعبيري، وتنسيقه الفني، وبنائه الفكري، وتناسق أجزائه وكمالها، وتحيط بالحياة البشرية =

بصدق محمد وإخلاصه، ولو احتفظ يهود العصر ومسيحيوه بيهوديتهم ومسيحيتهم في حالة نقاء لاعترفوا بالرسالة التي ألقاها الله عليهم عن طريق محمد.. ومن هنا يمكن أن نقول إن إشارات القرآن إلى تحريف لحق اليهودية والمسيحية قول صحيح، إن القرآن يؤكد أن الإسلام هو دين مطابق لدين إبراهيم الخالص[١]، وثمة ما يؤكد أن الإسلام كان بمثابة مستودع لدين إبراهيم في حالة نقائه الأولى»[٢].

= وتستوعبها وتلبيها وتدفعها دون أن تصطدم جزئية واحدة بأخرى أو بالفطرة الإنسانية».
الرسل والرسالات، د. الأشقر، ص١٣٢.

(١) تحتفل الكنيسة السريانية سنويًّا بإنجاء الله تعالى إبراهيم من النار التي أوقدها له أعداؤه، والقصة مذكورة في بعض حواشي شروح التوراة، ولعلها كانت في صلب الأسفار ثم أنزلت إلى الحواشي ثم اندثر بعض شروحها، الغريب أنهم اتهموا من كتبها بأنه قد أخذها من القرآن الذي ذكرها أكثر من مرة!
تاريخ العقيدة، د. الحوالي.

(٢) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات، ص٢٢ـ ٢٢٦، ولعل مونتجمري كان يكتم إيمانه، وإن كنا نعامله بظاهر =

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

لقد كان مفهوم المعجزة في الأمم السابقة هو المعجزة المادية التي كانت طابع المعجزات في الرسالات التي سبقت الإسلام، فلما جاء الإسلام أتى بمعجزة عقلية روحية تستنفر

= حاله ونكل سريرته إلى ربه.

وانظر لتفصيل من كان على ذلك من أهل الكتاب: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (٥/ ١١٣ ــ ١٢٠). ومن ضمن كلامه: «والنجاشي لم يدخل في كثير من شرائع الإسلام لعجزه عن ذلك، فلم يهاجر ولم يجاهد ولم يحج، وهو وأمثاله سعداء في الجنة وإن كانوا لم يلتزموا من شعائر الإسلام ما لا يقدرون على التزامه.. وقوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي من أهل الكتاب في الظاهر، وهو مؤمن لكن لا يقدر على ما يقدر عليه المؤمنون المهاجرون المجاهدون، كمؤمن آل فرعون هو من آل فرعون وهو مؤمن».

العقل والعلم للتدبر والتفكر، وتستنفر الروح للسمو، وتحتكم إلى قواطع القرآن العقلية وبراهينه العلمية الضرورية.

قال الشيخ محمد عبده: «لقد انتقلت الإنسانية إلى طور جديد بعد أن بلغت سن الرشد، وتجاوزت مرحلة «الخراف الضالة» و«أغمض عينيك واتبعني» فكان المناسب لها هو القرآن العظيم بحقائقه العلمية، وقبساته الروحانية، وإشباعه للفطرة، وانسجامه مع العلم، وتناغمه مع العقل، فأذعنت لسلطانه العقول والعلوم»[١].

قال توماس كارليل: «كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخلي» وقال أيضًا: «كم ذا تمنيت أن يكون الإسلام هو سبيل العالم».

وقال غوته: «لم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف، وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجفة الإعجاب والحب،

---

(١) القرآن الكريم هو أعظم معجزات رسول الله محمد ﷺ، مع ذلك فهناك الكثير من المعجزات العقلية والحسية والروحانية.

وبعد أن تتوغل في دراسة روح الشريعة فيه لا يسعك إلا أن تعظم هذا الكتاب العلوي وتقدسه».

قال أرنست رينان: «سوف تسود شريعة القرآن لتوافقها وانسجامها مع العقل والحكمة، لقد فهمت وأدركت أن ما تحتاج إليه البشرية هو شريعة سماوية تحق الحق وتزهق الباطل».

وقال ليو تولستوي: «لا يوجد في تاريخ الرسالات كلها كتاب بقي بحروفه كاملاً دون تحوير سوى القرآن الذي نقله محمد... إنما محمد شهاب قد أضاء العالم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[١].

وقبلهم قال النجاشي ـ ملك الحبشة ـ لما سمع القرآن: «إن هذا القرآن والذي جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة»[٢].

---

(١) انظر: موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي (٨/ ٨٠ وما بعدها).

(٢) وتأمل ما قاله فيه أحد كبار أعدائه وهو النضر بن الحارث القرشي:=

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان محمد ﷺ رسولاً إلى جميع الثقلين، وهو خاتم الأنبياء، وكان من نعم الله على عباده، ومن تمام حجته على خلقه أن تكون براهين رسالته معلومة لكل الخلق الذين بُعث إليهم، وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ما ليس عند هؤلاء، وكان

= «يا معشر قريش، والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم فيه صدغة الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر؛ لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن؛ قد رأينا الكهنة وسمعنا أسجاعهم، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر؛ لقد روينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون؛ لقد رأينا المجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه. يا معشر قريش؛ انظروا في شأنكم فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم» والحق ما شهدت به الأعداء. وقد قتل النضر في بدر كافرًا.

سيرة ابن هشام (١/ ٣٢١).

يظهر لكل قوم من الآيات النفسية[1] والآفاقية ما يبين أن القرآن حق، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٢، ٥٣].

فلا أضلّ ممن شاق الله ورسوله قال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:

---

(١) قال عبد الله بن سلّام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذكر خبره لما ذهب للنبي ﷺ أول ما قدم المدينة: «فلما رأيت وجهه علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب» رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح (٤/ ٦٥).

١٣٦، ١٣٧].

والشقاق قد يكون مع العناد وقد يكون مع الجهل، ثم تأمل براهين نبوته حين صدع بسورة الإسراء، وهو في مكة وفي أول بعثته، وأخبرهم أنه قد أُسري به إلى الأقصى وعاد في ليلته، وهذا الإقدام لا يقدم عليه من يطلب الناس أن يصدقوه إلا وهو واثق بأن الأمر كذلك؛ إذ لو كان عنده شك في ذلك لجاز أن يظهر كذبه في هذا الخبر فيفسد عليه ما قصده، وهذا لا يقدم عليه عاقل، مع اتفاق الأمم المؤمن برسول الله ﷺ والكافر به على كمال عقله ومعرفته وخبره؛ إذ ساس العالم سياسة لم يسسهم أحد بمثلها، وتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وقد علم فصاحتهم وبلاغتهم وعلومهم فعجزوا، بل قد أخبر عنهم سلفًا أنهم سيعجزون، وما هذا إلا لثقته بخبره، ثم جعل هذا القرآن المتلو المحفوظ يتلى جهارًا في الصلوات إلى يوم القيامة، وهذا دليل ثقته بصدقه ويقينه به، إذ لو كان عنده أدنى شك لحرص على إخفائه حتى لا تفسد دعوته، إلى غير ذلك من الدلائل

الكثيرة على أنه من عند الله، ولو من كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١] فالقرآن كاف في الدعوة والبيان وهو كاف في الحجة والبرهان»[١].

«هذا ودلائل نبوة محمد ﷺ كثيرة ومتنوعة ـ كما مر ـ وهي نوعان:

الأول: ما مضى وصار معلومًا بالخبر كمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام، وله من ذلك الحظ الأوفى.

الثاني: ما هو باق إلى يوم القيامة كالقرآن الذي هو من أعلام نبوته، وكالعلم والإيمان في أتباعه، وكشريعته الكاملة، وككرامات الصالحين من أتباعه إلى يوم القيامة فلم يكرموا

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية (٥/ ٤٠٥ـ ٤١١) باختصار.

بها إلا لبركة اتباعهم له، وكوقوع ما أخبر بوقوعه كقوله: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك**»[١]، وكقوله: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى**»[٢]، وقد ظهرت هذه النار سنة (٦٥٥هـ)، وكانت منذرة لما بعدها، فقد دخل هولاكو وقتل الناس، كذلك من آيات نبوته ظهور دينه وملته بالحجة والبرهان وبالسيف والسنان، كذلك العقوبات التي تحيق بأعدائه وغير ذلك كثير»[٣].

قال موريس بوكاي[٤]: «إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه نصوص القرآن لأول مرة هو ثراء الموضوعات

---

(١) مسلم (١٨/ ٦٢).

(٢) متفق عليه.

(٣) السابق (٥/ ٤٢٠، ٤٢١) بتصرف.

(٤) اعتنق الإسلام عام (١٩٨٢م) وهو رئيس قسم الجراحة في جامعة باريس، ويعتبر كتابه (التوراة والقرآن والعلم) من أهم المراجع لدراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة، وله كتاب (القرآن الكريم والعلم العصري).

العلمية المعالجة، وعلى حين نجد في التوراة الحالية أخطاء علمية ضخمة لا نكتشف في القرآن أي خطأ[١]، ولو كان قائل القرآن إنسانًا فكيف يستطيع في القرن السابع أن يكتب حقائق لا تنتمي إلى عصره؟!»[٢].

وقال أيضًا: «لم أجد التوافق بين الدين والعلم إلا يوم شرعت في دراسة القرآن الكريم، فالعلم والدين في الإسلام توأمان؛ لأن القرآن الكريم والحديث النبوي يدعوان كل مسلم إلى طلب العلم»[٣].

وقد ذكر الشيخ عبد المجيد الزنداني في كتابه (إنه الحق) أمثلة كثيرة وشواهد للمعجزات العلمية المبثوثة في القرآن الكريم، التي لم تكتشف إلا حديثًا، كذلك صنف الدكتور

---

(١) قال مارتن لوثر: «لا يمكن أن تقبل كلًّا من العقل والكتاب المقدس، فأحدهما يجب أن يفسح للآخر».

(٢) دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة، د. موريس بوكاي، ص١٤٥.

(٣) القرآن الكريم والعلم المعاصر، د. موريس بوكاي، ص١٢٣.

زغلول النجار عدة كتب في الإعجاز العلمي في القرآن ودعم أمثلته بالصور التوضيحية والشهادات الموثقة لعلماء من مختلف الجنسيات بكافة التخصصات في الفيزياء وطبقات الأرض والفلك والطب وغيره. كما أن هناك هيئة خاصة بإعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، ولها مجلة دورية اسمها (الإعجاز) يقوم عليها مجموعة من العلماء الثقات في كافة التخصصات، وسيأتي ذكر بعض الشواهد قريبًا إن شاء الله تعالى.

وبالجملة: فمعجزات القرآن لا تنتهي في زمن سابق أو لاحق، بل كلما ازدادت علوم الناس ومكتشفاتهم ظهر لهم من إعجاز القرآن العلمي ما يبهرهم من سبقه لهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فمعجزات القرآن معه، ولا تزال تظهر للناس بحسبهم وبما يناسبهم شيئًا فشيئًا.

قال الطبيب الفرنسي علي بنوا: «العامل الرئيسي في اعتناقي للإسلام هو القرآن، فقد كنت قبل الإسلام مؤمنًا

بالقسم الأول من الشهادتين «لا إله إلا الله» فقد كان شعوري الفطري بوحدانية الله يمنع علي قبول مبدأ «ثالث ثلاثة» أو الإيمان بقدرة البشر على مغفرة الذنوب، كما كنت لا أصدق مطلقًا بمسألة الخبز المقدس[1] الذي يمثل جسد المسيح عليه السلام.

وبعد أن قرأت القرآن بعقلية من يحمل أحدث الأبحاث العلمية كان ذلك كافيًا لإيماني بالقسم الثاني من الشهادتين «محمد رسول الله»»[2].

وقال الباحث والسياسي الفرنسي ليون روشي[3]: «وجدت في الإسلام حل المسألتين الاجتماعية والاقتصادية

---

(١) عقيدة العشاء الرباني وتحول الخبز ـ على الحقيقة ـ إلى جسد المسيح عليه السلام والخمر إلى دمه! ولها تفصيل في (العقائد المسيحية في الميزان) للمؤلف.

(٢) موسوعة (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندي (٨/ ٨٩).

(٣) سياسي فرنسي تعلم العربية ليتجسس على المسلمين، لكن حقائق الإسلام أبهرته فاقتنع به واعتنقه.

اللتين تشغلان العالم طُرًّا:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] فهذا أعظم مبدأ للتعاون الاجتماعي.

الثانية: فريضة الزكاة... لقد وجدت الإسلام أفضل دين»[١].

وقال اللورد برنتون: «إن اختلاف الأناجيل هو الذي دفعني لدراسة الإسلام، فوجدت في القرآن الحكمة وفصل الخطاب»[٢].

وقال اللورد ستانلي أولدرلي: «وقع في يدي كتاب الله تعالى، فما فرغت من تلاوته حتى اجتاحني مدد من البكاء، فنفضت عن نفسي التعصب الممقوت، وأصبحت من المسلمين»[٣].

---

(١) ثلاثون عامًا في الإسلام، ليون روشي، نقلاً عن: آفاق جديدة للدعوة، أنور الجندي، ص٦٥.

(٢) الإسلام، د. أحمد شلبي، ص٢٩٨.

(٣) السابق، ص٣٠٠.

وقبل هؤلاء وبعدهم كثير ممن وفقهم الله للهدى وأبعدهم عن الردى، وكم هي جسيمة مهمة المسلمين في إبلاغ الدين الحق والقرآن العظيم للحيارى من بني آدم.

حقاً إن القرآن الكريم هو أقوى وأشمل وثيقة لحقوق الإنسان، وقد جمع بتناغم فريد وانسجام بديع بين الرحمة والعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، فلم يظلم الأقوياء والأغنياء والرؤساء، ولم يبخسهم حقهم، بل أمرهم بالعدل وندبهم إلى الإحسان، ففي المال مثلاً أباح للغني التجارة وجمع الثروة من حِلّها وأخذ منه نسبة قليلة ـ ربع العشر في الأثمان ـ وجعلها زكاة لماله وطهرة لنفسه ومواساة للفقراء الذين أرشدهم إلى العمل والضرب في الأرض مع صدق التوكل على الله وحفظ ماء الوجه من الذلة لغيره، وأباح للجميع التملك بصرف النظر عن سنه أو جنسه.

وفي الحقوق العامة شرّع قوانين ـ أنظمة ـ تحفظ حقوق الضعفاء والفقراء والنساء والصغار والأيتام والعبيد والخدم،

ولو لم يك وحيًا منزلاً من السماء لكان حريًّا بالتطبيق الكليّ بحذافيره لاشتماله على تفاصيل مصالح البلاد والعباد، كيف وهو وحي رب العالمين وخالق السماوات والأرضين؟!

قال القس بوسورث سميث: «القرآن معجز في جمال أسلوبه وحكمته وحقيقته»[1].

وقال أ. ج. آربري في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية: «كلّما سمعت القرآن يُرتل أحسست وكأني أستمع إلى موسيقى[2] ومن وراء تلك

(١) الاختيار، ديدات، ص٢٠٠.

(٢) وهذه واحدة من معجزاته الصوتية والنفسية فليس بشعر ولا نثر، وليس له بحر يلتزمه ولا قافية ينهجها لكنه طراز وحده، لا يملك من عنده حسٌّ مرهفٌ في أذنيه وقلبه إلا أن يسجد لله تعظيمًا وحمدًا، لذا فأهله يستغنون بسماعه وتلاوته عن الألحان والأغاني والموسيقى لإشباع تلك الحاجة لديهم بالقرآن الكريم، ناهيك عن إعجاز معانيه وألفاظه وعلومه وأخباره. قال شيخ الإسلام: «لا يخلو المرء من حاجة لشيء يترنم به، فمن لم يترنّم بالقرآن؛ ترنم بغيره» أو كما قال.

النغمة المنسابة أسمع قرع طبل مستمر، فهو يشبه دقات قلبي».

وقال المترجم[1] البريطاني الآخر مارمادوك بكتال: «تلك النغمة الفريدة التي تنهمر عند سماعها دموع المستمعين رهبة وخشوعًا... القرآن هو إنجيل محمد، وهو أقدس من أي كتاب مقدس آخر، بل هو أقدس من كتاب العهد القديم اليهودي وكتاب العهد الجديد المسيحي»[2].

---

(١) وبالطبع فالترجمة ليست حرفية لأنها ممتنعة لكنها ترجمة معان فقط، والترجمة اللفظية مستحيلة لأمرين:
١ ـ استحالة نقل كلام الخالق بغير اللغة التي نزل بها، فهناك مئات العقبات في المعاني تحول دون ذلك.
٢ ـ عدم وجود الوعاء المماثل للوعاء المحفوظ فيه القرآن وهو اللغة العربية، فلا تضاهيها أي لغة أرضية لا في عدد الكلمات والمترادفات ولا الاشتقاقات ونحوها، فتجد المعنى الكلي الواحد يعبر عنه بعشر كلمات عربية لكل منها معنى خاص لا يؤدي غيره، ولا يتأتى هذا في غير العربية.

(٢) السابق، ص٢٠١.

وكما أن القرآن معجز ببيانه وأسلوبه ونظمه وتشريعاته وهدايته وسلطانه وتربيته؛ فهو معجز في سبق بيانه لكثير من الأمور والاكتشافات العلمية الحديثة، ومن أمثلة ذلك في علم الفلك نظرية الانفجار العظيم، وهي أن الكون كان عبارة عن كتلة واحدة متلاصقة ثم حدث انفجار عظيم أدى إلى تناثرها في أرجاء الفضاء فقد سبق القرآن لبيانها وتلاها نبي الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

كذلك ما أثبته علماء الأحياء من أن الماء هو أصل الحياة على الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وفي علم طبقات الأرض حيث تؤكد الأبحاث وجود ما نسبته الثلثين تقريبًا من كتلة كل جبل مغروزة في الأرض، فمن أخبر نبينا بذلك صلوات الله وسلامه عليه؟ قال تعالى:

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧].

كذلك فآية ﴿ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الروم: ٣]، وقد أثبت العلم الحديث أن غور البحر الميت ـ الذي هزم عليه الروم من الفرس ـ هو أخفض مكان في اليابسة فينخفض نحو (٤٠٠) متر تحت مستوى سطح البحرين الأحمر والأبيض المتوسط[١].

كذلك خلق الأشياء والمواد من زوجين كالبشر والحيوان والحشرات والنباتات والمواد الصلبة حتى الهواء والكهرباء، كالشحنات السالبة والموجبة، والذرات في المادة المنقسمة إلى نواة موجبة الشحنة (بروتون) وتحيط بها الكترونات سالبة الشحنة... وهكذا. فللقرآن الكريم السبق في ذلك بقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا

---

(١) من آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم، د. زغلول راغب النجار، ص٢٧٧، وقد تناول الإعجاز العلمي الخاص بالأرض في خمس وثلاثين آية. وله في الإعجاز في السماء وفي الحيوان كتب مستقلة.

مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦].

أما علم الأجنة فقد فصل القرآن مراحل تخلّق الجنين وانتقاله من مرحلة النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام إلى اللحم والتخليق بأدق وصف ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ[1] ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ﴾ [غافر: ٦٧]، ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةً فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمًا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، كذلك آية [الحج: ٥].

ومن ذلك الظلمات الثلاث التي تحيط بالجنين، المشيمة والرحم والبطن ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٍۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقًا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦]، وغير ذلك

(١) أي بأصل الخلق وهو آدم عليه السلام، أما بقية الأطوار فلذريته.

كثير من المعجزات العلمية المتنوعة المبثوثة في ثنايا القرآن الكريم، مع إشارات وتنبيهات للعلماء بمختلف تخصصاتهم ومشاربهم للتأمل والتدبر والتفكر في آياته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

لذلك فإن العالم المتخصص لا يملك إلا الإذعان لسلطان القرآن إن كان متجردًا للحق ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾ [محمد: ١٤] فالعلم ينادي أهله بالخضوع لحقائق القرآن العظيم، فهذا البروفيسور الفرنسي موريس بوكاي اعتنق الإسلام بعد تأمل عميق لآية من كتاب الله، وهي قول الله تعالى في معرض سياق قصة فرعون: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢] ففي عام (١٩٨١م) طلب فرانسوا ميتران جثة أشهر طاغوت في تاريخ البشرية الفرعون رمسيس الثاني[١]، وتم نقل الجثمان المحنط إلى فرنسا لإجراء

(١) على قول، وفيه تردد، لكنه صالح للاعتبار.

بعض الفحوصات والتحاليل عليه، وكان من ضمن فريق البحث البروفيسور موريس بوكاي، وكانت مهمته البحث عن سبب موت هذه المومياء، وتعجب كيف كانت يده اليسرى ممتدة للأمام، كما وجد بعض عوالق الملح على جسده، والغريب هو سلامة الجثة من التآكل أكثر من غيرها، وازداد عجبه واندهاشه حين علم بأن عند المسلمين خبرًا عن طريقة موت هذا الفرعون قبل أربعة عشر قرنًا مع أن جثته لم تكتشف إلا سنة (١٨٩٨م) فعاد موريس إلى أسفار العهدين القديم والجديد فلم يجد ذكرًا لنجاة جثة فرعون وبقائها سليمة.

فطار إلى بلاد الإسلام فأطلعه المصريون على آية يونس في القرآن الكريم ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢] فأعلن إسلامه ثم عاد إلى فرنسا وقرأ القرآن ودرسه عشر سنوات، وعرضه بشكل محايد على حقائق العلوم الحديثة، فلم يجد تناقضًا علميًّا واحدًا بينها وبين القرآن العظيم. ﴿لَّا

يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وكانت ثمرة هذه السنوات العشر في دراسة علوم القرآن الكريم أن ألف كتابه الشهير (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم) والذي كان كالقنبلة بين العلماء[1].

كما كان هناك الكثير من العلماء ولا زال العدد في ازدياد ـ بحمد الله تعالى ـ قد أسلموا بعد أن سلّموا لحقائق القرآن العلمية وعدم تناقضه مع العلوم الحديثة، ومنهم:

البروفيسور كيث مور[2]، والبروفيسور بيرسود[3]، والبروفيسور جولاي سيمبسن[4]، والبروفيسور مارشال

---

(١) وقد أكثر موريس بوكاي من تلك البحوث القيمة، كذلك كيث مور وزغلول النجار والزنداني وغيرهم، شكر الله لهم وأحسن إليهم.

(٢) من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم.

(٣) أستاذ علم التشريح وطب الأطفال والتوليد، وله (٢٢) مؤلفًا أصبحت مناهج دراسية.

(٤) أستاذ علم الوراثة الجزيئي الإنساني في كلية بايلور للطب في هيوستن.

جونسن[١]، والبروفيسور جيرالدسي غويرينجير[٢]، والبروفيسور[٣] ليوشيهيدي كوزاي[٤].

والبروفيسور تيجاتات تيجاسين[٥]، والبروفيسور وليام

---

(١) أستاذ علم التشريح وعلم الأحياء التطويري في جامعة توماس جيفرسن.

(٢) مدير وأستاذ علم الأجنة في قسم علم حياة الخلية في جامعة جورج تاون.

(٣) لاحظ نوعية العقول العلمية التي تعتنق الإسلام العلمي وتترك دين الخرافة، وهؤلاء من جانب واحد من جوانب العلوم الطبية، فما بالك بالتخصصات الأخرى في بقية الفنون، ناهيك عن عوام الناس الذين لا يحصون كثرة؟ فباعتراف المنظمات العالمية أن دين الإسلام هو أسرع الأديان انتشارًا بين جميع الطبقات والأجناس على المستويين الرأسي والأفقي، إنه دين الله الذي ارتضاه.

(٤) مدير المرصد الفلكي الوطني في طوكيو والأستاذ في جامعة طوكيو.

(٥) رئيس قسم علم التشريح في جامعة شيانك مي في تايلند، وبعد أن قدم بحثه في أحد المؤتمرات قال: «هذا الكلام لا يمكن أن يصدر من بشر» ثم نطق الشهادتين.

دبيلوهاي[١]، والبروفيسور ألفريد كرونير[٢]... وغير هؤلاء الكرام كثير ممن أثبتوا أن القرآن الكريم كالطيب الجيد الذي يعبق ريحه وشذاه كلما ازداد الطرق عليه، ويكفيك أن تعلم أن أول كلمة نزلت من السماء هي قول الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، ففيها أمر بالقراءة التي هي مفتاح العلوم، كذلك ففي ثنايا السور الكثير من الحث على العلم والتعليم وبيان مكانة العلم وفضل أهله[٣].

قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففي القرآن تحدٍّ لكل من كفر أن يعارضه بمثله أو بعشر سور أو بسورة، وقد تحدى الإنس والجن مرة بعد مرة أن يعارضوه، وهذه المعارضة لو

---

(١) عالم مجري مشهور وأستاذ العلوم الجيولوجية في جامعة كلورادو.

(٢) من أشهر جيولوجيي العالم، وهو رئيس قسم علم طبقات الأرض في معهد جوسينسيس بجامعة يوهانز جوتينبيرج في ألمانيا. ومن كلماته: «من أين جاء محمد بهذا؟!... أعتقد أنه من المستحيل أن يمكن لأحد أن يعرف الأصل المشترك للكون قبل سنوات قليلة ماضية».

(٣) ينظر: الاختيار، ديدات، ص٢١٥ـ ٢٦٢.

حدثت ولو مرة واحدة لبطلت دعوته، وقد اجتمعت همم أعدائه على ذلك فلم ولن يستطيعوا، وهذا أبلغ من الآيات التي يكرر جنسها كإحياء الموتى، فإن هذا لم يأت أحد بنظيره ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

والقرآن كله معجز فنظمه وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس الأساليب المعروفة، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الخطابة ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته عجيب خارق للعادة، ليس له نظير في كلام جميع الخلق.

ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته أمر عجيب خارق للعادة، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر، لا نبي ولا غير نبي، وكذلك ما أخبر به عن الملائكة والعرش والكرسي والجن وخلق آدم وغير ذلك.

ونفس ما أمر به القرآن من الدين والشرائع كذلك، ونفس ما أخبر به من الأمثال وبيّنه من الدلائل هو أيضًا كذلك.

ومن تدبر ما صنفه العقلاء[1] من العلوم الإلهية والخلقية والسياسية، وجد بينه وبين ما جاء في الكتب الإلهية: التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء، وجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم، فالإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه.

وليس ما في التوراة والإنجيل مماثلاً لمعاني القرآن لا في

---

(١) بلا شك أن ابن تيمية معدود من أوعية العلم وأساطين الفكر وفحول الفلسفة، وكان إذا تكلم في فن من فنون العلم ظن السامع أنه لا يحسن غيره ومصنفاته شاهدة بهذا. ولا نعلم مثله ولا قريباً منه خلال ألف سنة مضت، فهو مفخرة علماء الإسلام بين الأنام، مع هذا فليس بمعصوم.

الحقيقة ولا في الكيفية ولا في الكمية، بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن وتدبر الكتب.

وهذه الأمور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له إعجازه من هذا الوجه، ومن لم يظهر له ذلك اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر له ولأمثاله كعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدي النبي ﷺ وإخباره بما يعجزهم فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد.

ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، وفيها الظاهر البيّن لكل أحد؛ مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب وإنزال المطر وغير ذلك، وفيها ما يختص به من عَرَفُه، مثل دقائق التشريح، ومقادير الكواكب وحركاتها وغير ذلك، فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله، وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا فإن الله يجود به على عباده جودًا عامًّا ميسرًا، فلما كانت حاجتهم إلى النَّفَس أكثر من حاجتهم إلى الماء، وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الأكل، كان سبحانه قد جاد بالهواء جودًا عامًّا في كل

مكان وزمان لضرورة الحيوان إليه، ثم الماء دونه، ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت وأيسر لأن الحاجة إليه أشد. فكذلك دلائل الربوبية، فحاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات، ثم دلائل النبوة فلهذا يسرها الله وسهّلها أكثر مما لا يحتاج إليه العامة، مثل تماثل الأجسام واختلافها وبقاء الأعراض وفنائها وفوات الحج وفساده ونحو ذلك مما يتكلم فيه بعض العلماء»(١).

قال المفكر جيبون: «دين محمد خال من الشكوك والغموض، والقرآن هو الدليل العظيم على وحدانية الإله»(٢).

ولنأخذ مثالاً واقعيًّا تطبيقيًّا على هيمنة حقائق القرآن على قلوب الأحرار مهما بلغ شأنهم الديني أو الدنيوي.

فهذا الدكتور ملير كان أحد الدعاة النشطاء في الدعوة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح عليه السلام، ابن تيمية (٥/ ٤٢٧ـ ٤٣٦) باختصار.

(٢) الاختيار، ديدات، ص١٥٩.

إلى النصرانية وله مرتبة كنسية، وفي أحد الأيام أراد أن يقرأ القرآن بقصد أن يجد فيه بعض الأخطاء التي تعزز موقفه حينما يدعو المسلمين إلى التنصّر، وقد كان يتوقع أن يجد في هذا المصحف الذي كتب منذ أربعة عشر قرن كلامًا عن الصحراء والبادية والحياة القديمة بأفكارها البسيطة الساذجة، لكنه صُعق وذُهِلَ لما قرأه وتدبره وتبيّن احتواءه على أشياء لا توجد في كتاب سواه في العالم كله، كان يتوقع أن يقرأ بعض الأحداث العصيبة التي مرت بالنبي ﷺ كوفاة زوجته خديجة وبناته وأبنائه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لكنه لم يجد من ذلك شيء! بل وجد بدلاً عن ذلك سورة كاملة باسم مريم وفيها تشريف وتبجيل لها لا يوجد مثله في الأناجيل قاطبة! بل حتى آل عمران أهل المسيح لهم سورة باسمهم فيها ذكر كثير من أخبارهم، مع ذلك فلم يجد سورة لعائشة أو فاطمة أو خديجة!

كذلك وجد أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قد ذكر بالاسم (٢٥) مرة في حين لم يذكر محمد ﷺ سوى (٦) مرات فقط! فزادت

الدهشة والحيرة، مما حداه على قراءة القرآن بتدبر وتعمق وتمعن لعله يجد عليه مأخذًا يصرف عن قلبه هذه الواردات القوية، لكنه صُعق بآية عظيمة عجيبة وهي قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] فمن المعلوم عند الدكتور ملير أن من المبادئ العلمية مبدأ إيجاد الأخطاء إلى أن تثبت صحتها، فإذا القرآن العظيم المعجز يدعو المسلمين وغير المسلمين إلى إيجاد الأخطاء فيه، بل ويستبق النتيجة فيعلن أنهم لن يجدوا! فلا يوجد مؤلف يؤلف كتابًا ثم يقول للناس: هذا الكتاب خال من الأخطاء، ولكن القرآن على العكس تمامًا، بل ويتحدى الجميع ـ بلا استثناء أحد ـ أن يجدوا فيه خطأ واحدًا!

ثم استمر الدكتور ـ المنصِّر ـ في القراءة متنقلاً من دليل إلى برهان إلى إعجاز حتى استوقفته الآية الكريمة ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ

وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وهذه الآية هي بالضبط تلخيص البحث العلمي الحاصل على جائزة نوبل لعام (١٩٧٣م) واسم النظرية: الانفجار الكبير، ثم استمر في القراءة وفي ذهنه بقايا صراع فهو لا يريد الاستسلام بسهولة، إذن فلعل هذا القرآن من وحي الشياطين فإذا الآية شامخة أمامه ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٣] والآية الأخرى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠].

ثم توقف طويلاً عند سورة المسد وفيها ذكر عم النبي ﷺ أبي لهب الكافر به، وبيان أنه من أهل النار، وأنه سيموت كافرًا، مع أن محمد ﷺ قد تلاها قبل عشر سنوات من موت

أبي لهب ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ٣-٥] بمعنى أن أبا لهب وامرأته أم جميل لن يدخلا في الإسلام[1]، مع ذلك فخلال عشر سنوات من سماعهما لهذه السورة لم يعلنا إسلامهما أمام الناس - ولو بالتظاهر به تكذيبًا للخبر القرآني المستقبل - ولو فعلها مرة واحدة لنقض صدقية القرآن كله، مع ذلك نراه بقي على وثنيته حتى مات عليها ولم يدخل الإسلام! بل كان دومًا يسخر منه ويهزأ به ويحاربه ويصد الناس عنه بجاهه وجهده وماله وكان يطوف على القبائل في الحج يحذرهم من ابن أخيه محمد ويصفه بالجنون ويقول: نحن أعلم بابننا منكم فلا تتبعوه. وتساءل الدكتور ملير: كيف يكون محمد واثقًا من امتناع إسلام أبي لهب طيلة عشر سنوات حتى مات التبيب على الكفر لولا أن هذا القرآن

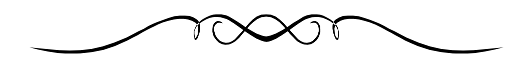
---

(١) وكذلك الحال مع الوليد بن المغيرة، فقد قال الله تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٢٦]، مع ذلك لم يظهر الإسلام ولو تظاهرًا حتى قُتل في بدر على الكفر.

منزل من الله تبارك وتعالى.

واستمر الدكتور في قراءته مرة بعد مرة، وكلما قرأه وكرره أكثر انفتحت له علوم أكثر، فكان يقرأ ويدوّن ملاحظاته التي يقبسها من نور القرآن، وزاد انبهاره بالقرآن وهو يراه يعطيه معلومات جديدة - أي ليست منقولة - كآية آل عمران: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤] وآية سورة هود عليه السلام: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩]، وآية سورة يوسف عليه السلام: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٢، ١٠٣] وهذا الأسلوب غير موجود في الكتب المقدسة المعهودة، وكل هذا رسّخ في قلبه القناعة والإيمان بأن هذا القرآن الكريم هو كتاب سماوي

منزل من عند الله تعالى إلى عبده ورسوله الكريم محمد ﷺ، وأنه الكتاب الذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت: ٤٢]، ثم أعلن الدكتور ملير إسلامه بحمد الله تعالى بعد أن تحقق من كلام شاعر ألمانيا وفيلسوفها غوتة حين قال: «لم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف، وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجفة الإعجاب والحب، وبعد أن تتوغل في دراسة روح التشريع فيه لا يسعك إلا أن تعظم هذا الكتاب العلوي وتقدسه»[1].



---

(١) انظر لأمثلة أخرى جميلة: موسوعة مقدمة العلوم والمناهج، أنور الجندي رحمه الله.

صفحة بيضاء

الفصل الرابع

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾

(أكثر من أربعين شهادة من رجال الفكر وأساطين العلم وفحول الفلسفة وأحرار السياسة، من أهل الكتاب وغيرهم من كل زوايا الأرض بِالرِّسَالةِ للنَّبِيِّ ﷺ).

لا زال ــ بحمد الله ــ في بني آدم على اختلاف أديانهم وأعراقهم أهل إنصاف لم تسكرهم خمرةُ الكبر، ولم تستهوهم معرّة التيه، ولم تصرفهم ذحولُ الماضي أن يشهدوا بالحق إذا رأوه ووقفوا عليه.

فمنهم من وُفّق لاعتناقه والإعناقِ في سبيله، أعلن أو أخفى، ومنهم من تحيّر ووقف حتى فاته الخير الذي أيقنه فخُذِلَ، وتنكّب محجته وانقطع ولات حين نجاء! ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣].

وإن من نافلة القول بيان أن استشهادنا ببعض أدبيات الأمم الأخرى لا يعني الإعجاب والانبهار بما لديهم ــ مع تسجيل شهادة الحق لكل من قال بها ــ غير أن في شهادتهم للحق محفزة لبعض بني قومنا وأقوامهم بصدقيَّةِ دينهم الذي رغبوا عن كثير من كمالاته، والله المستعان.

لقد درس رجال من غير المسلمين بِأَخَرَةٍ سيرةَ النبي صلوات الله وسلامه عليه وأخلاقه وأعماله وأخباره، فكانوا في هذا الأمر على غاية، فمنهم من استكبر بعدما رأى الحق فأنكر وخَتَرَ، فرمى الحق بالفِرَى، ووضوحُ فسادِ باطلهم مُغنٍ عن بيانه، وتصوره كاف في إبطاله، وكم أفادوا منه لو كانوا يعقلون!

ومنهم من اقتدحت زنادَهُم عظَمةُ النبيِّ الأكرم؛ فتبعه أو شهد له بالصدق، وكم من ذي نباهة صرفتْهُ لَبَانَةُ الدنيا وأفاويق المنى فرغِبن به عن الفلاح!

وفي هذا الفصل سنرقم شيئاً من شهاداتٍ مختلفة المكان والزمان، قد تتابعت باللهج والثناء على هذا النبي الخاتم

صلوات ربي وسلامه وبركاته عليه، وهو لاء معدودون من عِلية أقوامهم وسادتهم ونبلائهم، فسنرى منهم الزعيم الديني، والرئيس الدنيوي، والسياسي البارع، والمفكر المنظّر، والطبيب المتفوّق، والأستاذ النابه، في كثير من متبوئة سنام العلى في أقوامهم.

ولا شك أن النبيّ ﷺ غنيّ عن شهادة أحد من الخلق له، فكفى بالله شهيداً، ولكن هذا من باب تنوّع الآيات النبوية والبراهين الرسولية، فالشهادة إذا جاءت بالتصديق من غير الأتباع كانت أدعى للقبول في أقوامهم، وهذا ما أرومُه، وأسأل الله الهدى والتوفيق..

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، وقال عز من قائل مشيدًا بمن آمن من علماء أهل الكتاب، وجعلهم حجة على غيرهم: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

[الأحقاف: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

فالله تعالى قد بثّ البشارات بمحمد ﷺ في صحف موسى والأنبياء وإنجيل عيسى عليهم السلام، بل إن الإنجيل معناه البشارة، ومهما بلغ الحسد والكبر في نفوس علماء أهل الكتاب فلابد أن يخرج من بينهم منصفون أحرار صادقون، لا يخافون في الحق لومة لائم، وكثير من هؤلاء المنصفين قد دخل في الإسلام لما رأى أنه مخاطَبٌ به، ففاز وحاز الأجرين، وبعضهم اكتفى بالشهادة للنبي ﷺ بالنبوة ولم يدخل في الإسلام ـ أو لم يعلن ذلك لظروف خاصة ـ، وآخرون صدقوا وآمنوا بنبوته لكنهم خصوا نبوته بالعرب دون عموم الخلق، وهذا جمع بين النقيضين لأن هذا النبي قد أخبر بعموم رسالته للجميع، فإما أن يكون نبيًّا صادقًا في كل

كلامه أو أن يكون على الضد من ذلك. والثاني محال ـ فالأنبياء لا تكذب وأخص صفاتهم الصدق، فثبت من هذا عموم رسالته إلى الثقلين ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال ﷺ: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»[1].

ولنأخذ بعض الأمثلة ـ على وجه الاختصار والاقتصار ـ على شهادة العلماء وكبار القوم لرسول الله ﷺ بالصدق المطلق في رسالته وبلاغه:

فمنهم حبر اليهود وسيدهم وعالمهم عبد الله بن سلّام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي أسلم بعدما رأى رسول الله ﷺ قال: «فما هو إلا أن رأيته فعلمت أن وجهه ليس بوجه كذاب» ثم سأل رسول الله ﷺ أسئلة دقيقة لا يعلم جوابها إلا أقل من عدد

(١) رواه البخاري. وانظر: (كشف شبهات أهل الكتاب) للمؤلف.

أصابع اليد، فأجابه واطمأن قلبه للإسلام فاعتنقه وأشهره.

ومنهم كعب الأحبار الذي أسلم على يد الصحابة، وكان من فقهاء اليهود فأضحى من فقها المسلمين.

ولما فتحت مصر ذهب المغيرة بن شعبة إلى أسقف كنيسة أبي محنس في الإسكندرية ـ وكان من القبط ـ يسأله عن صفة رسول الله ﷺ في كتابهم فأجابه: بأنه نبي عربي اسمه أحمد، وقد أمرهم المسيح باتباعه، وليس بينهما نبي.

وما فائدة العقل والفكر والفهم إذا لم يهتد للإله الحق والدين المستقيم؟! فالأمم الكافرة والوثنية كان لها عقول وألباب، ولكن كفرت بالمرسلين، فما أغنت عنهم تلك العقول ولا نادر الفهوم ولا قوة الإمكانات. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا

مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وكان حبر اليهود الزبير بن باطا يحدّث الناس عن سِفْرٍ وجده بعد أبيه. وكان أبوه يكتمه عنه. وكان أبوه كبيرهم، وفي السفر ذكر أحمد، وهو نبي يخرج بأرض القرظ[1] - أي مكة - وصفته كذا وكذا.. فما هو إلا أن سمع بالنبي ﷺ قد خرج من مكة إلى المدينة فعمد إلى ذلك السفر فمحاه[2] والزبير بن باطا هو صاحب القول المشهور لليهود حين أخبرهم بطلوع النجم الأحمر الذي لا يطلع إلا لمبعث نبي.

وفي الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ كان يهودي بمكة يبيع تجارات له، وبينما هو بين قريش إذ قال لهم: «هل

(١) يستخرج القرظ - ويستخدم في الدباغ - من جذور شجر السلم، وهو موجود بكثرة في تهامة عامة، وما قرب من مكة خاصة، فهي أرض القرظ.

(٢) طبقات ابن سعد (١/ ١٥٨)، سيرة ابن إسحاق (ص٢٩-٣٣).

كـان فـيكم مولـود هـذه الليلـة؟» قـالوا: «لا نعلمـه» قـال: «انظروا يا معشر قريش وأحصوا ما أقول لكم - أي احفظوه - ولـد الليلـة نبـي هـذه الأمـة أحمـد، وبـه شـامة بـين كتفيـه فيهـا شعرات» فتفرق القوم، ثم قالوا له: «ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام وسمّاه محمدًا» فقام إليه، فرأى الشامة بين كتفيه والشعرات فيها، فسقط مغشيًّا عليه، فلما أفاق قال: «ذهبت النبوة من بني إسرائيل، وخرج الكتاب من أيديهم، فـازت العـرب بـالنبوة، أفـرحتم يـا معـشر قـريش؟ والله ليسطوَّن بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب»(١)، وصدق فقد سطا بكفّارهم وبكّتهم في معركة بدر صلوات الله وسلامه عليه فقتل منهم سبعين وأسر سبعين.

ودخل رسول الله ﷺ يومًا بيت المدراس ليهود المدينة فقال: «**أخرجـوا إلي أعلمكـم**» فقالوا: عبد الله بن صوريا، فخلا به رسول الله ﷺ فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم

---

(١) طبقات ابن سعد (١/ ١٦٤).

وأطعمهم المن والسلوى(١) وظللهم من الغمام؛ «**أتعلم أني رسول الله؟**» قال: «اللّهم نعم، وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمبيّن في التوراة، ولكن حسدوك» قال: «**فما يمنعك أنت؟**» قال: «أكره خلاف قومي، عسى أن يتبعوك، ويسلموا فأسلم»(٢)! نعوذ بالله من الخذلان والحرمان!

وقدم ثمانية من أساقفة نجران إلى رسول الله ﷺ في المدينة، منهم العاقب والسيّد، فتكلموا معه، فلما تبيّن لهم الحق أبوا أن يتبعوه، فعرض عليهم رسول الله ﷺ المباهلة - بأن يدعو الطرفان بلعن الكاذب منهما - ونزل قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]

---

(١) أي جنس اليهود.

(٢) السابق (١/ ١٦٤).

فانصرفوا ولم يُباهلوا لخوفهم العاقبة على أنفسهم وأهلهم ومالهم، واكتفوا بمصالحة رسول الله ﷺ. وقد عاد أحد الوفد من منتصف الطريق لما أخبره أحد كبارهم بصدق رسول الله ﷺ فعاد وهو ينشد:

إليك تعدو قلقًا وضينها معترضًا في بطنها جنينها

مخالفًا دين النصارى دينها

أما النجاشي ملك الحبشة فأسلم حينما سمع صدر سورة مريم حين تلاها عليه جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أما هرقل ملك الروم وعالِمُهُم فكاد أن يسلم لكنه ضنّ وشحّ بملكه، ولما أتاه كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام أرسل إلى نائبه الغساني أن يأتيه بمن كان عنده من العرب من أهل الحرم، فأرسل له أبا سفيان زعيم قريش مع رهط من تجار قريش ـ وكانوا حينها على الكفر ومحاربة الرسول ﷺ ـ فسألهم أسئلة كثيرة غريبة بلغت أحد عشر سؤالاً، ولما أجابوه علم أنه النبي الحق والمرسل المنتظر، وأنه

سيملك ما تحت قدميه، ثم صرفهم ودعا بطاركته ودعاهم إلى متابعة هذا النبي الخاتم، فلما أبوا عليه طمع في استدامة ملكه عليهم، ولم يسلم، وقد طرده المسلمون فيما بعد من الشام، فقال وهو يودعها: «وداعًا يا سورية وداعًا لا لقاء بعده». ولأهمية ذلك الحوار وتلمسه لأمور مهمة من علامات الأنبياء المتحققة في سيدهم وخاتمهم محمد ﷺ سنسوق غالب الخبر بطوله من صحيح الإمام البخاري[١] قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره: أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارًا بالشام، في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله

---

(١) البخاري (٧)، مسلم (١٧٧٣).

عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبًا[١]، فقال: أدنوه منّي وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبًا لكذبت عليه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب... إلى أن قال: فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلتُ: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يأتسي بقول قيل قبله، وسألتك: هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلتُ: فلو كان من آبائه من ملكٍ، قلت: رجلٌ يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر

---

(١) فكلاهما من بني عبد مناف.

الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحدٌ سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بُصرى فدفعه إلى هرقل، فقرأه، فإذا فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم**

الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]» قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأُخرجنا، فقلت لأصحابي حين أُخرجنا: لقد أَمِر أمرُ ابن أبي كبشة[(١)]، إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقنًا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

وكان ابن الناظور[(٢)] صاحبُ إيلياء وهرقل أسقفًا على

---

(١) أي عظم أمره.

(٢) جملة «وكان ابن الناظور» وما بعدها من كلام الإمام الزهري، وقد بين أبو نعيم في (دلائل النبوة) أن الزهري قال: لقيته - أي ابن الناظور - بدمشق زمن عبد الملك بن مروان. قال ابن حجر: وأظنه لم يتحمل =

نصارى الشام، يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يومًا خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناظور: وكان هرقل حزّاءً ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم مَلِكَ الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مداين ملكك، فيقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم، أُتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه، فحدّثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملكُ هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يَرِمْ حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه

= عنه ذلك ـ أي يسمعه منه ـ إلا بعد أن أسلم، ووصفه بالأسقف لينبه أنه كان مطلعًا على أسرارهم، عالمًا بحقائق أخبارهم. الفتح (١/ ٥٦).

يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة[1] له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلّقت، ثم اطلع، فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلّقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل».

ومن شهد لنبي الله ﷺ قبل أن يبعث ابن حرامش وابن الهيّبان، وكانا من كبار أحبار يهود، وقد ماتا قبل البعثة بعدما أوصيا قومهما بمتابعته، وقد أخذ ببشارتيهما مخيريق الذي خرج بسلاحه وقاتل مع النبي ﷺ في معركة أحد حتى قتل - واختلف في إسلامه - وكان قد أوصى بماله للنبي ﷺ.

---

(١) الدسكرة: هي القصر.

وممن أسلم من أحبار اليهود زيد بن سعنة بعد أن اكتملت عنده البشارات والعلامات واجتمعت في نبي الله ﷺ، ولم يبق سوى علامتين وهما أن حلمه يسبق جهله، وأن الجهل عليه لا يزيده إلا حلمًا، فاحتال حتى أقرض النبي ﷺ قرضًا، ثم استعجله قبل أوانه، وتكلّم عليه بكلام غليظ، فحلم عليه النبي ﷺ، فزاد من كلامه ليغيظه؛ فما زاده ذلك إلا حلمًا، ثم أمر بقضاء حقه، فلما رأى برهان ما عنده شهد شهادة الحق وأشهر إسلامه وتابعه حتى استشهد في تبوك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١).

هذا ولعل الكثير من بني إسرائيل بعد عودتهم من السبي البابلي والفارسي تتبعوا مواطن البشارات ببعثة النبي الخاتم المنتظر، فنزلوا بلاد فاران (الحجاز) وسكنوا في ثراها التي تحتوي على سباخ ونخل وتحوطها حرتان، مثل وادي القرى وخيبر وتيماء وفدك ويثرب (المدينة) ونزل جلّهم

---

(١) انظرها مفصلة في: المستدرك (٣/ ٧٠٠) (٦٥٤٧)، طبقات ابن سعد (١/ ١١١).

الأخيرة لوضوح البشارة بها (طابة) وكان غالب سبط لاوي (الهارونيين الذين منهم المسيح عليه السلام) قد نزلوا المدينة، ويشهد لذلك أن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب القرظي - سيد بني قريظة - كانت من نسل هارون عليه السلام، وقد يكون أغلب سبطي لاوي ويهوذا قد سلموا من السبي البابلي لأنهم كانوا قد استوطنوا بلاد فاران (الحجاز) قبل ذلك بوقت طويل، وبخاصة المدينة، ولا يمنع أن تكون فاران هي أرض التيه والطور[1]، وقد كانت يهود المدينة إذا غلبتهم قبائل الأوس والخزرج - وكانت وثنية حينها - كانوا يقولون: إنه قد أظلَّ زمان نبي يهاجر ليثرب نتبعه ونقاتلكم معه، فلما بعث النبي ﷺ وهاجر للمدينة كفروا به، وقالت الأوس والخزرج: لا يسبقنكم إليه يهود، بل إنهم قد بايعوه على

(١) والأظهر أن جبل الطور (طور سيناء) والمسمى في التوراة جبل حوريب، وكذلك تيه بني إسرائيل كان في الحجاز، وأن مسمّى صحراء سيناء المصرية مُحدَث ليس بقديم، كذلك ما ترتب عليه من تسميتهم بجبل موسى وبنائهم دير سانت كاترين لا أساس له. وقد بسطت أدلته في (هل جبل الطور في الحجاز؟).

الإسلام لما كان في مكة قبل أن يهاجر إليهم، وكانوا أسرع القبائل دخولاً في دينه لكثرة ما كانوا يسمعون من نعوته وأوصافه وبشارات اليهود به.

وقد ذكر الله ذلك في محكم التنزيل فقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وممن اطّلعوا على تلك البشارات النبوية والعلامات الرسالية سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان مجوسيًّا من بلاد فارس وابن لكبير من دهاقينها، ثم هاجر إلى الشام وتنصّر وتنقل بين خمسة أساقفة في الشام ثم الموصل ثم نصيبين ثم عمورية وكان لا يفارق صاحبه حتى يموت، وكان يستوصيه بمن يلحق به من بعده، فكان كل واحد يدله على أعلم أهل الأرض في ذلك الزمان حتى يلحق به سلمان ـ ولعلهم من الموحدين المسيحيين ـ حتى كان آخرهم حين حضرته الوفاة واستوصاه سلمان فقال: لا أعلم على ما كنت

عليه أنا وأصحابي من أحد، ولكن هذا زمان قد أظلته بعثة نبي، وأعطاه خمس علامات حفظها سلمان حتى رآها متحققة مجتمعة في رسول الله ﷺ وآخرها خاتم النبوة بين كتفيه على ظهره فآمن به وأسلم[١].

وقد اعترف بعض كبار اليهود في أحد مجالسهم كعمرو بن سُعدى والزبير بن باطا وكعب بن أسد بنبوته ﷺ ثم جعل الاثنان أمرهما لكعب بن أسد فإن أسلم أسلما، لكنه أبى أن يكون تابعًا[٢] وبئس ما اختار لنفسه وقومه، وكانت نهايته أن قتل في سوق المدينة مع سبعمئة من قومه بني النضير.

ومن المشاهير الذين أسلموا وكانوا من كبار أهل الكتاب الحسن بن أيوب والترجمان وزيادة الراسي، ومن المعاصرين البروفسور القس عبد الأحد داود وإبراهيم خليل والشماس وديع فتحي، وغيرهم كثير جدًا ممن لا تحصيهم

---

(١) مسند أحمد (٥/ ٤٤١ـ ٤٤٤)، طبقات ابن سعد (٤/ ٧٥ـ ٨٠).

(٢) دلائل النبوة، الحافظ البيهقي (٣/ ٣٦١).

الكتب بحمد الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] فالأنعام لم تكلف ولم تخاطب بالقرآن الكريم وليس لها من الفقه والفهم كما لدى البشر. نعوذ بالله من سوء الحال والمنقلب.

كذلك فقد اعترف للنبي ﷺ كثير من العلماء والمشاهير وسادة قومهم له بالرسالة فإلى شيء من ذلك(١):

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد اعترف حذاق الفلاسفة بأنه لم يقرع العالم ناموس أفضل من ناموس محمد ﷺ، وكان هذا بموجب عقلهم وفلسفتهم»(٢).

قال الفيلسوف والشاعر الإنجليزي جورج برنارد شو

---

(١) وقد مضى بعضه في الفصل السابق.

(٢) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (١/ ٣١٧).

(١٨١٧ـ ١٩٠٢م) في كتابه (محمد) ـ وهو الكتاب الذي أحرقته السلطات البريطانية وقتها ـ: «العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم المدنيات، خالدًا خلود الأبد، وإني أرى كثيرًا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (أوروبا).

إن رجال الدين في العصور الوسطى، ونتيجة للجهل أو التعصّب قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدوًا للمسيحية، لكنني اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أن يُسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنه لو تولّى أمر العالم اليوم لوفق في حل مشكلاتنا بما يأتي به من السلام والسعادة التي يرنوا إليها البشر».

وقال أيضًا: «جدير بكل ذي عقل أن يعترف بنبوة محمد ﷺ، وأنه رسول من السماء إلى الأرض، هذا النبي فتح

برسالته عصرًا للعلم والنور والمعرفة، حريّ أن تدور أقواله وأفعاله بطريقة علمية خاصة، وبما أن هذه التعاليم التي قام بها هي وحي؛ فقد كان عليه أن يمحو ما كان متراكمًا على الرسالات السابقة من التبديل والتحوير»[١] ولكأنما هذا المفكر ممن يكتمون إيمانهم رَهَباً أو رَغَباً، كذلك الألماني غوتة والروسي ليو تولستوي..والله أعلم بحقائق أحوالهم، لكن ظاهر حالهم الكفر دون الإيمان، وإن كان قد شعّ نور الإعجاب بهذا الدين ونبيه من بين ثنايا مؤلفاتهم وتضاعيف كلامهم، والله أعلم بحقائقهم.

وقال المستشرق المشهور غوستاف لوبون: «إن محمد هو أعظم رجل في التاريخ»[٢]، فهذا الرجل لم يسلم وقد اطلع على روايات العهد القديم والجديد وقرأ القرآن الكريم وعرف السيرة النبوية، فهل سيغش قومه وأهل ديانته؟! ومن هو أعظم رجل في التاريخ على الإطلاق إن لم يكن هو هذا

---

(١) انظر: الإسلام ورسوله، أحمد حامد (ص١٣ـ١٥).

(٢) حضارة العرب، غوستاف لوبون (ص٦٧).

النبي المنتظر المختار؟!

وفي كتاب آن بيزيت (حياة وتعاليم محمد)[١]: «من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم، ويعرف كيف عاش هذا النبي، وكيف علّم الناس، إلا أن يشعر بتبجيل لهذا النبي الجليل، أحد رسل الله العظماء، ورغم أني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء وقد تكون مألوفة للعديد من الناس، فإني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم».

وقال الدكتور النمساوي شبرل ـ عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا ـ: «إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ أنه رغم أميته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيون أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة».

---

(١) دار مادرس للنشر (١٩٣٢م).

قلت: وأنّى ذلك فهي النبوة والوحي، لذلك لما قال أبو سفيان للعباس غداة دخول المسلمين مكة يوم فتحها: يا أبا الفضل، والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيمًا، قال: يا أبا سفيان إنها النبوة. قال: نعم إذًا[١].

وقال البروفيسور ماكر يشناراو في كتابه (محمد النبي): «هذه نبذة عن حياته من صور جميلة متتابعة، فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، ومحمد حامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً».

وقال الأمريكي مايكل هارت في كتابه الشهير (العظماء الخالدون مئة): «إن اختيار محمدًا ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء، لكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني

(١) تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون (ص٢٥٣).

والدنيوي، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليها سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمدًا هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته، ولأنه أقام جانب الدين دولة كاملة جديدة... فهو الذي بدأ الرسالة الدينية الدنيوية وأتمها»(١).

والذي نعتقده ونستيقنه أن المسيح عليه السلام حي لم يمت، وأنه في السماء الثانية وسينزل في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً ونورًا وإسلامًا. والعجيب أن هارت قد جعل بولس في رتبة متقدمة على المسيح عليه السلام، وقد علّل ذلك بأن بولس هو المؤسس الحقيقي للديانة المسيحية الحالية وأن إسهامه فيها أكثر من إسهام المسيح، وصدق فالمسيحية الحالية أولى بها أن تسمى البولسية فالمسيح عليه السلام براء منها.

---

(١) العظماء الخالدون مئة، مايكل هارت، (ص٣١).

وقال المفكر الهندوسي ديوان شاند شارما في كتابه (نبي الشرق): «كان محمد أعطف رجل، وقد شعر من حوله بتأثيره الذي لا ينسونه أبدًا»[١].

وقال الزعيم الهندي الشهير جواهر لال نهرو: «لقد تعب الناس من النظام القديم، وتاقوا إلى نظام جديد، فكان الإسلام فرصتهم الذهبية؛ لأنه أصلح الكثير من أحوالهم، ورفع عنهم كابوس الضيم والظلم»[٢].

وقال جون وليم درابر: «في عام (٥٦٩م) ولد بمكة في شبه الجزيرة العربية الرجل الذي فاق كل الرجال في ممارسة أعظم تأثير على الجنس البشري محمد»[٣].

وقال بوسورث سميث في كتابه (محمد والإسلام): «ذو قدر يندر وجوده على الإطلاق في التاريخ، محمد هو مؤسس

---

(١) نبي الشرق، ديوان شاند شارما (ص١٢٢).

(٢) لمحات من تاريخ العالم، جواهر لال نهرو (ص٢٧)، ونهرو هو أول رئيس وزراء للهند بعد الاستقلال.

(٣) تاريخ التطور الفكري في أوروبا، جون وليم درابر.

ثلاث دعائم؛ أمة وإمبراطورية وديانة.. من المستحيل لأي شخص درس حياة هذا الرسول العربي العظيم الذي هو واحد من أعظم رسل الله إلا أن ينحني احترامًا لهذا الرسول المبجل القوي»[1] ولو انحنى لهذا الرسول لنهاه، فهو جاء ليحني الناس ظهورهم لله لا له، عليه الصلاة والسلام.

وفي (الموسوعة البريطانية)[2]: «كان محمد أنجح الشخصيات الدينية على الإطلاق»، وهذه شهادة منهم لمن قال ربه فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال للخلق منوّهًا بشأنه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فهو أحق البشر على الإطلاق أن يؤتسى ويقتدى به ويتّبع.

وفي عام (١٨٤٠م) ألقى المصلح الإنجليزي الاجتماعي

---

(١) نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. لخضر شايب (ص٩٥، ٩٦). علمًا بأن الانحناء لغير الله لا يجوز في الإسلام بحال.

(٢) الطبعة (١١).

والحاصل على جائزة نوبل توماس كاريل سلسلة محاضرات بعنوان (الأبطال وتمجيد البطل)[١] وقد ابتدأها بالدفاع عن نبي الإسلام بقوله: «إن الأكاذيب التي نسجها الآخرون حول هذا الرجل سيلحق بنا نحن فقط عارها وخزيها[٢]، ثم تكلم عن إخلاص هذا النبي العظيم وحسن أخلاقه: «إخلاص هذا الرجل العظيم لا يمكن التعبير عنه.. كان ذو خلق عظيم رزين... لا يستطيع أحد أن يجاريه.. أما وفاؤه فلا حدود له... وذو صدق وأمانة في كل ما يفعل ويقول ويعتقد.. وليس بمتملق بل يتميز بقوته وشدته في الحق إذا اقتضى الأمر ذلك، ولا يتكلف الأمور.. لم يمارس الكذب قط.. وكلامه مختلف تمامًا عن كلام السحرة... لم يكن ليطمح في ملك في الدنيا لأن همته أرفع من ذلك... لم يتهم

---

(١) وقد جمعت وطُبعت في كتاب بنفس العنوان. وانظر (ص٥٨ـ ٦٠) من كتابه المذكور.

(٢) السابق (ص٢٦٣ وما بعدها)، وقد اقتصرنا منها على بعض الشواهد.

بخطيئة أو إثم أبدًا... لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذبٌ، وأن محمدًا خداع مزور».

أما الشاعر الفرنسي الشهير لامارتين فقد وضع ثلاثة معايير كي يحدد أعظم إنسان في التاريخ، وهي سمو الهدف، وبساطة الوسائل، والنتائج المذهلة. ثم درس التاريخ وخرج بالنتيجة التالية: «لا يوجد رجل عظيم في التاريخ يمكن مقارنته بمحمد... إن محمدًا أقل من الإله، وأعظم من الإنسان العادي » أي أنه نبي[1].

أما شاعر ألمانيا وأديبها ومفكرها في القرن التاسع عشر غوته فقد أحب النبي محمد ﷺ وأعلن إعجابه به وبدينه، وله قصائد ومؤلفات في مدح الإسلام والقرآن الكريم، ومنها (تراجيديا محمد) وله قصيدة رقيقة في مدح رسول الله ﷺ، كما كتب في حبه وإجلاله مسرحية لكنها لم تكتمل لوفاته قبل

---

(١) عن (الاختيار) ديدات، (ص١٨٥).

إتمامها[1]، ومن أقواله المشهورة: «إن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية، وإننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد... لم يعتر القرآن أي تحريف أو تبديل، وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجفة الإعجاب والحب، وبعد أن تتوغل في دراسة روح التشريع فيه؛ لا يسعك إلا أن تقدس هذا الكتاب السماوي وتعظمه» وقال: «كان الرسول مُعدًّا إعدادًا ربانيًا انفرد به من بين سابقيه من الرسل والأنبياء على كثرتهم... لقد بحثت في التاريخ عن مَثَلٍ أعلى للإنسان فوجدت ذلك في النبي محمد، وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد».

أما الرسام العالمي الكاثوليكي إيتيان دينيه فقد أسلم عام (١٩٢٧م) وتسمى نصر الدين دينيه، وكان أول ما أعجبه في الإسلام موافقته لمبادئ العقل، فتعمق في دراسة الإسلام ثم

(١) انظر: غوته، صديق شيبوب.

ألف كثيرًا من المؤلفات خلال أيام إسلامه القصيرة، وأهم تلك المؤلفات كتبه الثلاثة (الشرق كما يراه الغرب) (أشعة خاصة بنور الإسلام) (محمد رسول الله) وقد تصدى فيها لكشف شبهات المستشرقين وافتراءاتهم على الدين الحنيف. وقد توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد سنتين من إسلامه، ونقل جثمانه من باريس ليدفن في مدينة (بوسعادة) بالجزائر عام (١٩٢٩م).

كذلك فقد أسلم المستشرق النمساوي ليوبولد فايس سنة (١٩٢٦م) وتسمى محمد أسد، ومن أشهر كتبه (الطريق إلى مكة)، (رسالة القرآن).

كذلك الفيلسوف الروحاني الفرنسي المشهور رينيه غينون، الذي نشأ على الكاثوليكية في فرنسا، ثم انتقل إلى القاهرة حيث أعلن إسلامه فيها سنة (١٩٣٠م) وتسمى عبد الواحد يحيى غينون، وتزوج مسلمة، وبقي في مصر حتى توفي بها سنة (١٩٥١م)[١]، وقد أحدث إسلام غينون ضجة

---

(١) محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. لخضر شايب (ص١٧٠-١٧٨).

في أوروبا وأمريكا، وكان سببًا لدخول الكثيرين في الإسلام[1]، وكان قد ألف العديد من الكتب منها (أزمة العالم الحديث) (الثقافة الإسلامية وأثرها في الغرب) كما أصدر مجلة (المعرفة).

ومن أقواله الخالدة: «أردت أن أعتصم بنص لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم أجد بعد دراسة عميقة سوى القرآن»، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٣]. وقد قال الكاتب الفرنسي المشهور أندريه جيد: «لقد علمتني كتب غينون (جيون) الكثير، وإن آراءه لا تنتقض».

وهنيئاً لمن دعا إلى الله على بصيرة، قال رسول الله ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا**

---

(١) الإسلام في قفص الاتهام، د. شوقي أبو خليل (ص١٦).

ينقص ذلك من أجورهم شيئًا»[١]، وقال: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**»[٢]، وهذا كله امتثالاً للقرآن العظيم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقد ألف المفكر الفرنسي الشهير رجاء جارودي[٣] مؤلفات عديدة في تجلية بعض حقائق الإسلام التي حاول من قبله طمسها، ومن مؤلفاته في ذلك (الإسلام دين المستقبل)، (وعود الإسلام)، (نداء إلى الأحياء).

أما المستشرق الدكتور والدبلوماسي الألماني مراد هوفمان فقد اعتنق الإسلام سنة (١٩٨٠م) بعد دراسة متأنية موضوعية علمية متجردة فقاده ذلك إلى الدخول فيه. وقد ألف مجموعة من الكتب التي كان لها صدى قوي لدى

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) واختلف في إسلامه.

النخب الأوروبية، ومنها (يوميات ألماني مسلم)، (الإسلام كبديل)، (الإسلام عام ٢٠٠٠) وغيرها[١].

وقال البروفيسور في الدراسات الإسلامية في مدرسة اللغات الشرقية في لندن توماس أرنولد: «إن دخول الإسلام في المجتمع العربي الوثني لا يدل على القضاء على قليل من عادات بربرية وحشية فحسب، وإنما كان انقلابًا كاملاً لمثل الحياة»[٢].

وقالت المستشرقة الإيطالية لورا فاغليري مثبتةً نبوة محمد

---

(١) وحاليًّا يعيش في تركيا.

(٢) الدعوة إلى الإسلام، د. توماس أرنولد (ص٦١، ٦٢). ونسبة الهمجيّة إلى شعب البربر هو من بقايا الإرث الإغريقي اليوناني المتعالي على غيره من الشعوب، ويكأنهم رأوا أنفسهم أسياد الكوكب؟! وغفلوا عن أنهم جهلة بأعظم المطالب وأعرف المعارف وهو الله رب العالمين. علمًا أنّ قصدهم بذلك المصطلح (بربر) إنما هو علمٌ على غيرهم من الشعوب ولم يقصدوا به الشعب المسلم العظيم (الأمازيغ) وعلى كلٍّ فينبغي عدم مجاراتهم في هذا المصطلح الذي يؤذي إخواننا.

عليه الصلاة والسلام: «وأزعج هذا التحول السياسي والديني العميق طائفة من الناس... ولكن كثيرًا منهم كانوا عميانًا، وكانوا يغمضون أعينهم عمدًا... إنهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن القوة الإلهية وحدها كان في ميسورها أن تقدم الحافز الأول لمثل هذه الحركة الواسعة، إنهم لم يريدوا أن يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسؤولة عن رسالة محمد آخر الأنبياء الكبار حملة الشرائع، والذي ختم سلسلتهم إلى الأبد»(١).

لقد نافحت هذه الإيطالية الحرة عن الإسلام، رغم أنها لم تعتنقه - ظاهرًا على الأقل - وألّفت في الثناء عليه المؤلفات المشكورة، وسبب ذلك أنها قد اطلعت على حقائقه الناصعة في زمن صار أكثر بني قومها يزيفون حقائقه ويشوهونها ويفترون عليه الأكاذيب، ومضت تقول بكل شجاعة أدبية تليق بمفكرة ومؤرخة: «فعندئذ يتعين علينا أن نرفض

---

(١) دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغليري، (ص٢٨).

الاتهام؛ لأن في استطاعتنا أن نقيم الدليل استنادًا إلى القرآن والنبي نفسه على أن ذلك بهتان كامل»[١].

ولعل سبب عزوف بعض هؤلاء عن اعتناق الدين الحق أن هناك طائفة من الفلاسفة تؤمن بتجريد الحقيقة لذاتها، وتبقي هذه القناعات في حيز العقل دون أن تصلها بالمشاعر، وإلا فلو وصلت لكانت ثمرة ذلك اعتناق الحقيقة، وهي هنا الإسلام، كما مر معنا مع بعض أكابرهم لما أطلقوا مشاعرهم في مراكب حقائقهم بعد أن تأكدوا من سلامة تلك الحقائق وبراءتها من الزيف.

وقال السويسري روجيه دوباسكويه الذي اعتنق الإسلام مع زوجته الهولندية في كتابه (إظهار الإسلام): «يساعد الإسلام المرء على العيش بدون أن يفتقد نفسه، وتقدم الحلقة النبوية الخاتمة وسائل مقاومة الفوضى الحاضرة، يخاطب الإسلام الإنسان معرفًا إياه منزلته بين

(١) السابق (ص٢٩).

الخلق وأمام الله»(١).

وقال مارسيل بوازار: «لم ينس محمد قط وهو يؤدي دور الرجل الدولة رسالته السماوية نبيًّا ومبشرًا، كما لم يتوان لحظة واحدة عن إظهار ورعه وتقاه»(٢). ويُذكر أن مارسيل قد أعلن إسلامه بعد نشر كتابه هذا، وقد عدّه مراد هوفمان من المسلمين كما في كتابه (الإسلام في القرن العشرين).

أما الأديب العالمي الروسي المشهور ليو تولستوي فقد كان حاضرًا واعيًا حينما قال: «إنما محمد شهاب قد أضاء العالم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء... أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد، الذي اختاره الله لتكون آخر الرسالات على يديه وقلبه وعقله، ليكون هو أيضًا آخر الأنبياء حيث لم ولن يأتي بعده أحد»(٣).

---

(١) إظهار الإسلام، روجيه دوباسكويه (ص١٠٩)، وله كتاب (تحدي العصر).

(٢) إنسانية الإسلام، مارسيل بوازار (ص٤٦).

(٣) حِكَمُ النبي محمد، ليو تولستوي، ترجمة سليم قبعين.

وقال سليم قبعين - وهو نصراني لبناني منصف - مترجم كتاب تولستوي المذكور في مقدمته له: «بعد إطلاعي على رسالة الأديب الروسي عن الإسلام وعن النبي محمد، هالني ما جاء فيه من الحقائق الباهرة، فدفعتني الغيرة على الحق إلى ترجمتها إلى العربية»[(١)].

وقال الزعيم الهندي الشهير المهاتما غاندي: «إن نبي الإسلام هو الذي قادني إلى المناداة بتحرير الهند، العظيم الخالد محمد بن عبد الله رسول الإسلام، كان قادرًا على السيطرة على العالم كله، ومع ذلك ترك نفسه إنسانًا بالإسلام، ولم تستطع شهوة الشيطان أن تحوم حوله، فعاش نبي الإسلام رسولاً بشرًا عاديًا أمام إخوانه من الناس كواحد منهم رغم أنه اصطفاء إلهي».

وتأمل في هذا السياق الكلام النفيس للإمام ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ إذ قال: «... وأيضًا فإن سيرة محمد ﷺ لمن تدبرها

---

(١) السابق، المقدمة.

تقتضي تصديقه ضرورة، وتشهد له بأنه رسول الله حقًّا، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته ﷺ لكفى.. ثم أوطأه الله رقاب العرب كلهم فلم تتغير نفسه إلى أن مات، ودرعه مرهونة في أصواع شعير لقوت أهله، ولم يبت قط في ملكه درهم ولا دينار، وكان يأكل على الأرض ما وجد، ويخصف نعله بيده، ويرقع ثوبه، ويؤثر على نفسه، وقُتل رجل من أفاضل أصحابه ـ وفقد مثله يهدّ عسكرًا ـ قتل بين أظهر أعدائه من اليهود، فلم يتسبب إلى أذى أعدائه بذلك، إذ لم يوجب ربه تعالى له ذلك، ولم ينقصهم بذلك دمًا ولا مالاً، بل وداه من عند نفسه بمئة ناقة، وهو محتاج في تلك الحال إلى بعير واحد يتقوى به، وهذا أمر لا تسمح به نفس ملك ولا صاحب مال فصحّ يقينًا أنه متبع لأمر ربه، وتدبر حاله لـمّا لم يحل الخلافة إلى عمه ولا ابن عمه، بل فوّض الأمر لبعيد النسب منه، ثم لم يورث أهله وولده مالاً...»[1].

وقال المستشرق الكندي الشهير زويمر في كتابه (الشرق

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (ص٢٣١، ٢٣٢).

وعاداته): «لا يجوز أن ننسب إلى محمد ما ينافي صفات الصدق والعظمة، فتاريخه يشهد له بهذا».

وقال المستشرق الألماني برتلي سانت هيلر في كتابه (الشرقيون وعاداتهم): «إن في محمد صفتين من أجلّ صفات النفس البشرية هي العدالة والرحمة».

وقال سنرستن آسوجي أستاذ اللغات السامية في كتابه (تاريخ حياة محمد): «إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من جميل الصفات وحميد المزايا، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصرًّا على مبدئه حتى أتاه النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظماء التاريخ»(١).

وقال الكونت كاتيا في كتابه (تاريخ الإسلام): «أليس الرسول محمد جديرًا بأن نقدم للعالم سيرته حتى لا يطمسها الحاقدون عليه وعلى دعوته التي جاء بها لينشر في العالم الحب

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ (ص١٦٨)، العلمانية، د. الحوالي (ص٨٥ـ٩٥).

والسلام؟».

وقال المؤرخ كريستوفر دارسون في كتابه (قواعد الحركة في تاريخ العالم): «إن الأوضاع العالمية تغيرت تغيرًا مفاجئًا بفعل فرد واحد ظهر في التاريخ هو محمد».

وقال المستشرق الإسباني جان ليك في كتابه (العرب): «لا يمكن أن توصف حياة محمد بأحسن مما وصفها الله بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] كان محمد رحمة حقيقية، وإني أصلي عليه بلهفة وشوق»

فتأمل هذا الكلام الرقيق والحب الصادر من رجل لم يدخل دينه، فكيف بأتباعه؟!

وقال المستشرق هيل في كتابه (حضارة العرب): «لقد أخرج محمد للوجود أمة، ومكن لعبادة الله في الأرض، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية».

أما الشاعر والفيلسوف الفرنسي فولتير وصاحب حركة الاستنارة الفرنسية في القرن الثامن عشر فقال: «إن دين

الإسلام يستحق الإعجاب والتقدير... ولقد قام الرسول بأعظم دور يمكن للإنسان أن يقوم به على الأرض.. إن أقل ما يقال عن محمد إنه قد جاء بكتاب وجاهد، والإسلام لم يتغير قط».

وقد يصطدم القارئ العزيز بأقوال لفولتير تخالف كلامه هنا والسبب أن اطلاع فولتير في أول أمره على الإسلام كان قاصرًا حيث قاسه على بقية الأديان المحرفة إضافة إلى توجيه الثقافة السائدة في أوروبا، لعداء الإسلام، فكان يذم الإسلام ونبيه عام (١٧٤٢م) ثم توسع اطلاعه على معدن الإسلام وجماله الأخّاذ وقواعده الباهرة فكتب في عام (١٧٥١م) كتابه (أخلاق الأمم وروحها) أثنى فيه على النبي ﷺ ووصفه بالمفكر والحكيم والسياسي العميق وصاحب الدين العقلاني، ووصف الإسلام بالتسامح، ثم ألف عام (١٧٦٥م) كتابًا في العادات، حيث مدح فيه الإسلام بصورة أكبر وأشاد فيه بالنبي ﷺ وبالقرآن الكريم وقال فيه: «إن محمدًا من أعظم مشرعي العالم» والعبرة بآخر كلام المؤلفين

وكتبهم لا بدايات أحكامهم[١].

وقال الفرنسي كليمان هوارت: «لم يكن محمد نبيًّا عاديًّا، بل استحق بجدارة أن يكون خاتم الأنبياء، لأنه قابل كل الصعاب التي قابلت كل الأنبياء الذين سبقوه من بني قومه... إنه نبي ليس عاديًّا فهو يقسم أنه لو سرقت ابنته فاطمة لقطع يدها، ولو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة لأصبح العالم بأسره مسلمًا»[٢].

وقال برتراند راسل الفيلسوف البريطاني والحاصل على جائزة نوبل للسلام عام (١٩٥٠م): «لقد قرأت عن الإسلام ونبي الإسلام، فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية، فالتعاليم التي جاء بها محمد والتي حفل بها كتابه، ما زلنا نبحث ونتعلق بذرات منها، وننال أعلى الجوائز من أجلها.. لقد كانت وما زالت ديانة محمد توحيدًا سهلاً، ولم

---

(١) ولي تدوينة منشورة في ذلك بعنوان (على ضفاف فولتير).

(٢) وصدق هوارت، فبعض المسلمين شوّهوا صورة الإسلام بسوء أخلاقهم، فصاروا سبب نفرة الحيارى عنه، ألا ما أعظم ظلمهم!

يزعم لنفسه أنه إله، ولا زعم أتباعه له هذه الطبيعة الإلهية نيابة عنه، لقد كانت الأخلاق الإسلامية منذ محمد وحتى اليوم وغدًا هي المفتاح الحقيقي للإنسان الذي يحلم بأن يكون لوجوده معنى».

وقال الإسكتلندي السير ويليم مور في كتابه (سيرة النبي والتاريخ الإسلامي): «لقد امتاز محمد بوضوح كلامه، وسهولة دينه، ولقد أتم من الأعمال ما لم ولن يستطيعه مصلح إجتماعي، فقد أحيا الأخلاق، وحث على الفضيلة، وهذا حال الأنبياء والرسل حينما يربيهم الله ويرسلهم برسالة حق، كما أرسل محمدًا بالإسلام الحقيقة والحق ليختم الرسالات، وأيضًا ليختم الأنبياء»(١).

وقال الفيلسوف الفرنسي المشهور جان جاك روسو ـ المتأثر بنور الإسلام وأدبيات المسلمين ـ: «لم ير العالم حتى اليوم رجلاً استطاع أن يحول العقول والقلوب من عبادة

---

(١) انظر: حياة محمد، وليم موير، موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي (ص٥٧٨، ٥٧٩).

الأصنام إلى عبادة الإله الواحد إلا محمدًا، لقد اختاره الله بعناية كي يحمل الرسالة... ولو أن محمدًا عاش مدة أطول مما عاش لأصبح الإسلام ورسوله سادة العالم».

قلت: وتأمل حاله عليه الصلوات والتسليم لما ذهب لدعوة أهل الطائف بعد إيذاء أهل مكة له، ولم يستجب له في رحلته الشاقة تلك بكل آلامها النفسية والبدنية والكلام الشديد الذي يفل عزيمة أحزم وأجلد الرجال وأشدهم بأسًا، والقذف بالأحجار التي أدمت عقبيه الشريفين، مع ذلك فلم يقنط ولم ييأس بل فرح واستبشر بهداية خادم مملوك نصراني على يديه، اسمه عداس الذي قدّم له طبقًا من العنب بأمر سيده، فلما رفع ثمرة منها إلى فيه ذكر اسم ربه وقال: «**بسم الله**» فتعجب ذلك الخادم الكتابي قائلاً: «وأين من يفعل هذا هنا؟!» لأن ذكر الله عند الطعام ليس عادة وثنية بل نبوية، فقال له رسول الله ﷺ: «**من أين أنت؟**» قال: من نينوى، فقال: «**بلد العبد الصالح يونس بن متى ـ يونان ـ**» فاندهش عداس لمعرفة هذا الرجل بتفاصيل أخبار الأنبياء وأحوالهم

وتعاليمهم، فأزال النبي ﷺ عجبه وأذهب دهشته بقوله: «**هو نبي وأنا نبي**» فانطرح المسيحي الطاهر تحت قدميه يبكي متأثرًا بجلال الموقف واتباعًا لدين نبيه ورسالته الخالدة[1].

وقال المستشرق الأمريكي ذائع الصيت بروكلمان: «محمد لم تشبه شائبة من قريب أو من بعيد فقد كان فوق مستوى الشبهات». ولبروكلمان عدة كتب في تاريخ وآثار العرب وآدابهم.

وقال البروفيسور الفرنسي موريس بوكاي - وقد أسلم -: «لو كان قائل القرآن إنسانًا فكيف يستطيع في القرن السابع أن يكتب حقائق لا تنسب إلى عصره؟!... طبعًا إنما نجحت إنجازات الحضارة الإسلامية العظيمة بسبب امتثال الأوامر المفروضة على المسلمين منذ فجر الإسلام»[2].

---

(١) انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/٢٢٦٢) والخصائص الكبرى للسيوطي (١/١٥٧) والروض الأنف للسهيلي (١/٣٢٥).

(٢) القرآن الكريم والعلم المعاصر، د. موريس بوكاي (ص١٢٣)، وقد تقدم شيء من أقواله.

وقال الطبيب البلجيكي الدكتور ياسين باينز: «كنت قبل الإسلام أرى أنه لابد من دين، وهذا الدين لابد أن يكون شاملاً لكل تصرفات الإنسان، فلا يمكن أن يكون الدين الصحيح لساعات قليلة من حياة الإنسان، ووجدت بغيتي في الإسلام فاعتنقته»(١).

وقال المفكر البريطاني لين بول: «إن محمدًا كان يتصف بكثير من الصفات، كاللطف والشجاعة وكرم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تطبعه هذه الصفات في نفسه...» ثم ذكر أمثلة لصفاته الجميلة ﷺ(٢).

وقال المستشرق الأمريكي واشنجتون إيرفنج: «كانت تصرفات الرسول في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي

---

(١) عن: حوارات مع مسلمين أوروبيين، د. عبد الله الأهدل، (ص١٠٦).

(٢) رسالة في تاريخ العرب، لين بول، نقلاً عن: روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة (ص٤٣٨).

مرسل، لا على أنه قائد مظفر... حين توج انتصاره بالرحمة والعفو»(١). قلت: وكم وقف النبلاء أمام عظمة ذلك الموقف إجلالاً وإعظامًا.

وقال المؤرخ البلجيكي جورج سارتون: «وخلاصة القول... أنه لم يتم لنبي من قبل ولا من بعد أن ينتصر انتصارًا تامًّا كانتصار محمد»(٢).

وقال المؤرخ الفيلسوف الأمريكي ول ديورانت: «إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس. قلنا إن محمدًا كان أعظم عظماء التاريخ»(٣) وقال بعدما وصف الجنة على ضوء القرآن العظيم: «ترى من ذا الذي يستطيع أن يرفض هذا النعيم»(٤).

---

(١) حياة محمد، وشانجتون إيرفنج (ص٧٢).

(٢) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، جورج سارتون (ص٢٨-٣٠).

(٣) قصة الحضارة (١٣/ ٤٧).

(٤) السابق (١٣/٥٨).

إنها شريعة سماوية بحق، فقد حثت الإنسان على عمارة الدنيا والآخرة، فأرشدت للعمل للآخرة وعدم نسيان الدنيا، ليست برهبانية ولا مادية، أما في المسيحية فالرهبانية والانقطاع التام عن الدنيا والتبتل صفات تعد من الفضائل، مع أنها في حقيقتها تطبيق عملي للتصور السلبي الخاطئ الناشئ عن الجهل بطبيعة الإنسان ومهمته في الوجود، قال تعالى في ذمها: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]، فهي دخيلة على دين المسيح عليه السلام، ولدخول الرهبانية[١] على المسيحية أسباب:

١ـ عقيدة الخطيئة الأزلية الموروثة.

٢ـ ردة الفعل المتطرفة للمادية اليهودية الجشعة المتهالكة على المادة، والفلسفة الأبيقورية الإباحية الرومانية النهمة المتهتكة.

---

(١) والضد يظهر حسنه الضدّ، ولك أن تقارن «ديناميكية» الإسلام وتفاؤله بجمود الكنيسة وقنوطها، لذلك بسطت الكلام قليلًا في الرهبانية النصرانية.

٣ـ الفلسفات والوثنيات التهربية القانطة، كالفلسفة الرواقية القائمة على التأمل والاستغراق في عالم ما وراء المادة، والبوذية القائمة على جلد الذات والخروج من سلطة الجسد وشهوات النفس.

٤ـ الأوضاع الاجتماعية القاسية، كالهرب من خدمة الأسياد والنبلاء في زمن الإقطاع والعبودية وغير ذلك من الأسباب.

وقد ترتب على ذلك قيام الرهبانية كشعيرة كبرى معترف بها في كل الكنائس المسيحية، وقد وضعت للرهبانية نظامًا وقانونًا وشروطًا لابد من تحققها في الراهب ومنها:

١ـ العزوبة.

٢ـ التجرد الكامل من الدنيا.

٣ـ العبادة المتواصلة بلا انقطاع ولا راحة إلا للنوم، فإن قصّر في ذلك فإن السياط تلهب ظهره، فهناك ست جلدات إذا سعل وهو يبدأ ترنيمة، أو قرع القدح بأسنانه أثناء العشاء الرباني، واثنا عشر سوطًا إذا نسي أن يدعو الله قبل الطعام،

وخمسون جلدة إذا تأخر عن الصلاة، ومئة لمن يشترك في نزاع.. وهكذا، حتى فاقوا الآصار والأغلال المشهورة في الديانة اليهودية، بينما في الإسلام ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ثم قال رسول الله ﷺ بعد تلاوة هذه الآية: «**قال الله: قد فعلت**»(١). وانظر تفاصيل العذاب الرهباني وأسواطه في (قصة الحضارة)(٢).

٤- التعذيب الجنوني كما فعل الراهب ماكاريوس حين نام ستة أشهر في مستنقع ليتعرض جسمه العاري للذباب السام، وكالذي يحمل الحديد دائمًا عقوبة لنفسه، ومنهم من يمشي

---

(١) رواه البخاري.

(٢) قصة الحضارة (١٤/ ٣٦٥). ول ديورانت.

على يديه ورجليه كالأنعام إذلالاً لنفسه، وكان كثير منهم يسكنون مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر، ويأكلون الحشيش، والأغرب من ذلك أنهم كانوا يعدّون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح! ويتأثمون من غسل الأعضاء! قال الراهب اتهينس: «إن الراهب أنتوني لم يقترف إثم غسل الرجلين طوال عمره، وكان الراهب إبراهام لم يمس وجهه ولا رجليه الماء خمسين سنة، وقد قال الراهب الإسكندري بعد زمان متلهفًا: واأسفاه لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حرامًا فإذا بنا الآن ندخل الحمامات»! فجزى الله المسلمين خيرًا على تعليمهم النظافة لهؤلاء[1].

ختامًا أقول: قد أوردت لك أكثر من أربعين شهادة[2]

---

(١) وللمزيد انظر رسالتي: (أخلاق الكنيسة وأخلاق الإسلام).

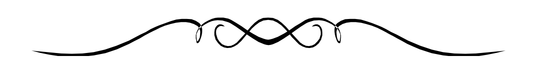
(٢) لتوثيق ما مر مع زيادة أمثلة في الأشخاص والشهادات ينظر: آفاق جديدة للدعوة، ومقدمات العلوم والمناهج، كلاهما لأنور الجندي، عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام، محمد طماش، الإسلام في قفص الاتهام، د.شوقي أبو خليل، حوارات مع مسلمين أوروبيين، د.عبد الله الأهدل، أمريكا والإسلام تعايش أم تصادم؟ د.عبد القادر =

من رجال الفكر وأساطين العلم وفحول الفلسفة وأحرار السياسة، من كل زوايا الأرض، كلهم اتفقوا على أن هذا النبي العظيم فريد بني آدم وسيد بني الإنسان، وجلّهم قد شهدوا له بالرسالة وبعضهم قد دخل في جملة أتباعها، فكيف لو سمعت بأقوال أتباعه الذين ولدوا في ظل دينه وتشربوا حبه وحب سنته مع حليب أمهاتهم مُذْ نعومة أظفارهم؟! وجميعهم يشهد أن هذا الدين حق ورسوله حق وختمه للنبوة حق وبتحتّم اتباعه على كل أحد ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه عدد أنفاس أهل الجنّة.

= طاش، القرآن الكريم من منظور غربي، د.عماد الدين خليل، أوروبة والإسلام، د.عبد الحليم محمود، التنصير والاستعمار، عبد العزيز الكحلوت، الإسلام، د.أحمد شلبي، كيف أسلمت، هالة اللولو.

فهرس



صفحة بيضاء

سلسلة

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾

تأليف: إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

١) محمد رسول الله ﷺ.

٢) هل انتشر الإسلام بحد السيف؟

٣) كشف شبه أهل الكتاب عن الإسلام (١٣ شبهة).

٤) المسيحية من التوحيد إلى الوثنية.

٥) أخلاق الكنيسة وأخلاق الإسلام.

٦) يا سائلاً عن بني إسرائيل!

٧) المسجد الحرام والحج في صحف أهل الكتاب.

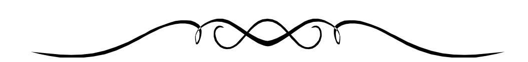
٨) سبع بشارات توراتية بنبي الهدى الخاتم عليه الصلاة والسلام.

٩) أشهر بشارات العهد الجديد بنبيّنا محمد ﷺ.

١٠) نظرة فاحصة في الكتاب المقدّس «البيبل».

١١) العقائد المسيحيّة في الميزان.

١٢) ربحت محمدًا ولم أخسر المسيح صلى الله عليهما وسلم.



الصف والتنسيق والإخراج الفني

أ. خالد محمد جاب الله ـ مكة المكرمة ـ جوال: ٠٥٠٢٥٤٣٩١٧